لقاءات استقبال شهر رمضان من عام ١٤٤١هـ

رمضان موسم التجارة

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

-منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

-هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

-الكمال لله-عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

خمسة لقاءات ألقيت في آخر شعبان من عام ١٤٤١هـ

اللقاء الأول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا وقام رمضان إيمانًا واحتسابًا. نسأله أن يبلغنا هذا الشهر المبارك وأن تحل علينا بركاته-سبحانه وتعالى-ونكون من المنتفعين حق الانتفاع بهذا الشهر المليء بالخيرات والعطايا من رب العالمين.

نبدأ مستعينين بالله في هذه اللقاءات التي تتقدّم شهر رمضان بأربعة أو خمسة أيام نناقش إن شاء الله فيها ما يُعيننا على استقبال الشهر استقبالًا مناسبًا لمنزلته، فإن الله يحب من عباده أن يُقدروا نعمه، وأن يعملوا منتفعين بما وفّر لهم من فُرص ويسّر لهم من أسباب للوصول إلى رضاه وجنات النعيم، يحب من عباده أن يروا نعمة الله فيُقبلوا عليها شاكرين الله أن مدّ في أعمارهم فعاشوا حتى بلغوا هذه النعمة.

إنّ مواسم الطاعة من أعظم ما يُشكر عليه الله-سبحانه وتعالى-فإنه **موسم لزيادة أرباحك أيها المؤمن!** لأنك في الحياة في تجارة مع الله، فلا تكن مثل المنافقين والكافرين-الله يُعيذنا-: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}(١).

كن أنت ممن انتفع بهذه المواسم {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ}(٢).

تاجر مع الله وكن ممن صدق في بُغية الربح، ولا يخسر مع الله أحد.

فمن تاجر مع الله أخذ فوق مناه

لأن الله قد أخبر عن نفسه-سبحانه وتعالى-أنه غفور شكور، فإذا أخطأت في تجارتك أو قصّرت فيها فإن الله يغفر لك ما قد صدر منك وتربح عليه أرباحًا عظيمة؛ لأنه يشكرك-سبحانه-شكرًا عظيمًا على أعمال يسيرة، فلابد أن تكون وأنت تدخل هذا الشهر الكريم معلنًا حالة التجارة والرغبة العظيمة في أن تكون تجارتك التجارة التي لن تبور، وبما أنك صادق وتريد تجارة مع

(١) [سورة البقرة: ١٦]

(٢) [سورة فاطر: ٢٩]

الله اعلم أنها لن تبور، لن يكون مع الله كسادًا ولن يكون مع الله هلاكًا، لا والله، إنما مع الله يكون الربح الدائم، فهذا النوع من التجارة لا كساد فيه.

وإذا أزعجوك الناس اليوم بالتخويف من الكساد فأنت تاجر مع الله، اتل كتاب الله، صلِّ لتربح على الله، أنفق لكي تجده جبالًا من الحسنات عند الله، فهذا الثواب العظيم لن يكون من أثر عملك بل من أثر معاملة الملك الكريم الذي وصفه أنه إذا صدقت في التجارة معه ما يجعلك تخسر أبدًا، بل وأنت على فراشك تتذكر لقاءه وتقع في قلبك الرهبة من هذا اللقاء، تُحطّ سيئاتك وترتفع حسناتك، أليس الله هو الذي مثّل لنا تجارتنا معه في الإنفاق كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة؟!

فأبشر وكن صاحب رجاء، واعلم أنك ما تخسر مع الله أبدًا، فإنه يزيدك على ما تستحقه في أعمالك وفي هذه التجارة ثوابًا عظيمًا من فضله وكرمه، ويضاعف لك الحسنات ويغفر لك الزلات.

فسبحان ربي العظيم مع استغنائه عن خلقه لكن يدعوهم ليربحوا ويُعرّفهم بنفسه ليثقوا، وينبههم على أن لا يُضيعوا الفرصة، وحتى إذا وقع منك تقصير الله يغفره، وحتى لو غفلت الله يغفر، وإذا هممت بالحسنة وصدقت فيها الله يشكر، فماذا تريد أربح من هذه التجارة؟

واعلم أن الخلق عندما تظهر نتائج تجارتهم ويربح أهل الإيمان ويخسر أهل الكفر ويدخل أهل الإيمان جنات النعيم، فأول ما يقولون: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ}(١)، يشكرون نعمة السلامة، وجدوا أرباح التجارة، وتبيّن لهم أنه حقًا عاملهم بالمغفرة عندما تجاوز-سبحانه-عن أخطائهم بل وعندما عاملهم بفيض الخيرات ومضاعفة الحسنات وأعطاهم المكان العظيم الذي لا يبلغوه بجهدهم مباشرة يقولون: "الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن"، والدنيا كلها حزن، عندما أعطاهم ما أعطاهم زالت كل الأحزان من قلوبهم وكل الآلام والخوف من أن يكونوا من الخاسرين ذهب هذا كله، وأعطاهم ربهم هذه العطية العظيمة فقالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} حقا إنه لغفورٌ شكور، أذهب عنا هم المعاش وأذهب عنا خوف الخسارة، أذهب عنا حزن زوال النعم، أذهب عنا كل أحزان الدنيا، وذهاب أحزان الدنيا يبدأ من القبور، وقد ورد في بعض الآثار: (لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ، وَلَا فِي نُشُورِهِمْ) وقد ذكر بعض المفسرين أن في بعض الآثار النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: ((وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَنْفُضُونَ عَنْ رُءُوسِهِمْ يَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ)) نعم، هذا ما نعتقده أنهم ما فازوا إلا لأن الله غفر لهم الزلات وشكر لهم قليل الحسنات وأعطاهم من فضله ما لا تبلغه

(١) [سورة فاطر: ٣٤]

الأمنيات فبمغفرة الله نجوا من كل ما يخافون وبشكره حصل لهم كل ما يحبون فالله الكريم العظيم لا يترك من تاجر معه خاسرا أبدا، يقولون: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ}(١).

هذه التجارة من المؤكد لن تخسر لأن أمام هذه التجارة في دار التكليف أتت الأرباح في دار المقامة فعرفوا أن زمن التجارة انتهى وأن زمن الإقامة لا يمسهم لا تعب ولا كلل، انتهى وقت التعب والعمل والتجارة والاهتمام وأتى وقت العطايا والاستقرار، دار المقامة التي يقام فيها أبدًا ولا يُنتقل عنها وكل هذا من فضله الله، فما أعظم ما عند الله وما أيسر الطريق للوصول إليه، وما أعجب نداءه للخلق أن هلمّوا إلى هذه التجارة وهم الرابحون وهو الغني-سبحانه وتعالى-عنهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}(٢).

الله يدلّكم ويحثّكم على هذه التجارة ويعرضها عليكم، يُغريكم بهذا الأمر وبهذه التجارة، هذه التجارة بين أهل الإيمان والملك الكريم الرحمن يقول لهم: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}(٣) تعالوا يأيها المؤمنون تعالوْا إلى التجارة تؤمنون بالله ورسوله، فأنت يا أيها التاجر تعلم أن التجارة تُنجي من محنة الفقر، فأعظِم بها من تجارة التي تكون مع الله، صدِّق بالله وبعظمة الله وتيقّين بذلك وأقر بلسانك واعلم أنك ما تخسر أبدًا مع الله.

فمن آمن وعمل صالحا فله الأجر والربح الوافر واليسار المبين

ومن أعرض سيكون ذاك الوقت الخسران المبين

هذه التجارة تنجيكم من عذاب أليم، فما أعظم عرض الملك العظيم على خلقه الفقراء المحتاجين يناديكم رب العالمين لأن تتاجروا معه، فمن يعرض عن هذه التجارة التي يدعوكم لها الملك المستغني الذي وعد بالعطايا وهو المؤمن من أسمائه العظيمة **المؤمن المهيمن** الذي لا يخلف وعده أبدًا بل هو-سبحانه-الصادق في وعده؟!، فما أعظم هذا النداء أن ينادينا رب الأرض والسماء، ينادينا ليحيينا وليعطينا.

فهذه التجارة ماذا تحتاج منك، ما هو رأس مالك؟ الإيمان بالله ورسوله وبذل مالك ونفسك في سبيل الله، فعندما يأتيك الأمر بالصيام افعل هذا في سبيل الله، وعندما يأتيك القيام افعل هذا في سبيل الله، ستجد شيئًا عظيمًا: {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

(١) [سورة فاطر: ٣٤ ٣٥]
(٢) [سورة الصف: ١٠]
(٣) [سورة التوبة ١١١]

وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(١) كل هذا من فضله على خلقه، فلا تكن ممن فاتته هذه الصفقة الرابحة لأنها لا محالة خسارة عظيمة.

ماذا يراد منا في هذه التجارة الرابحة؟ أن نجتهد، نبذل جهدنا وطاقتنا، بقوانا البدنية وبأموالنا ما استطعنا لذلك سبيلًا، يعني أنت ببدنك ومالك تدخل مع الله التجارة، وظرف التجارة هو وقتك، فأنت تستغل هذا الوقت كله من أجل أن تنتفع منه وبهذا تكسب أرباحًا، فقدّم نفسك-وهو أعظم ما يملكه الإنسان الحي-ووقتك وجهدك وبدنك **في مقابل الجنة وهي أعز ما يوهب**، وفي النهاية هذه النفس الله أعطاك إياها، فلا تبع نفسك بشيء من الدنيا فهذا هو الغبن، لكن ثمّن نفسك واجعل مقابل ثمن نفسك ما عند رب العالمين، فالتجارة معاملة مع الله إيمانًا بالله وإيمانًا برسوله واجتهادًا بالمال والنفس.

واعلم يقينًا أن الله في غنى، فإذا عرفت هذا الأمر وتيقنته وعرفت قيمة نفسك وتاجرت مع الله والتفت إلى نفسك فوجدتها ثمينة تستحق أن تفوز بالجنات، ولا يكون خسيس الشأن هو مرادك فعليك الآن أن تعزم عزمًا حقيقيًا على مجموعة أمور وتأخذ عُدتك من أجل أن تربح في هذه التجارة؛ لأن هذه التجارة تُنجيكم من عذاب أليم، **لا تنسَ أن هذه التجارة تنجيكم من عذاب أليم**.

ها هنا يكون الكلام تجارة مع الله في هذا الصيام والقيام والذكر والدعاء خصوصًا أن هذا الشهر الكريم فيه ما يزيد ربحك ويضاعفه عن بقية أيام العام من وعود للرحمن-سبحانه وتعالى-ومن أمور تهيأت لك تساعدك على ذلك، في هذا الشهر كما نعلم تُصفد الشياطين-الحمد لله رب العالمين-تبقى عليك نفسك الأمارة بالسوء، يبقى صغار الشياطين كما ذكر بعض أهل العلم، فمقاومتها مع قوة إيمانك بإذن الله تكون أعظم.

وسنرى كيف هذا الشهر فيه أرباح أكثر من أي موسم آخر يعني لا تعلوه إلَّا أرباح الحج، لكن أرباح رمضان واسعة وعظيمة وكثيرة، وقد يفعل فيها الإنسان ما يكون أعظم لأن الناس ليس الكل يتيسر له أن يكون حاجًا فالحمد لله رب العالمين.

هذا الموسم مليء بالأسباب التي تجعلك تربح، لكن **لنعزم العزم من نفوسنا والتوكل على ربنا** ونعلم ما هي الأمور التي تساعدنا بإذن الله على تجارة لن تبور وعلى ربح عظيم تعلم أنه لا كساد فيه، وعطّل في عقلك كل أنواع الأرباح التي يفكر فيها الناس، واربح على الله جنات عظيمة وقصور وأنهار وأمور لا تخطر على البال قد ذكر لنا الرحمن منها طرف في كتابه وذكر رسوله-صلَّى الله عليه وسلَّم-منها طرف في كلامه مع أصحابه وتبقى سرًا لا عين رأت مثلها ولا أذن سمعت مثل وصفها، اللهم ألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين!

(١) [سورة الصف: ١٢]

نرى الآن ونعد العدة للدخول في هذه التجارة ونعزم أن نكون رابحين، أولًا لنرى ما هي أدواتي لأربح؟!

سبحان الرب الذي شوّق عباده وأعطاهم الأدوات ليربحوا وكله منه-سبحانه وتعالى-، فأول أداة لنربح في هذا الموسم وتكون تجارة حقًا مع الله:

أولا: مقصدنا (توحيد المطلب)

لابد أن نفكر كثيرًا في مقصدنا في كل فعلٍ سنفعله، وهذا قبل أن ندخل فلابد أن نكثر في التفكير فالموسم سيأتي وأنا أريد أن أعمل أعمالًا يرضاها الله، فسيكون هناك محور عظيم في تفكيرنا وهو **إظهار صدق طلب رضا رب العالمين**، يعني لابد أن نفكر في داخلنا أننا نريد أن ترضى عنا يا ربنا، لابد أن نهتم في إظهار هذا من ألسنتنا، من حركة قلوبنا، من إراداتنا، نُظهر أننا نريد أن ترضى عنا يا رب العالمين، نُظهر تفرد مقصدنا في الحياة، ونحن مختلفين الآن في أعمارنا، في تجاربنا، في أحوالنا، لكن كلنا نريد أن نتفق على أمر واحد وهو أن نفض الأماني ويبقى أمامنا أمنية واحدة وهي أن ترضى عنا يا رب العالمين.

ثم نخطط في تفكيرنا أو نفكر أكثر ونفعل عملية ارتباط بين كل أعمالنا وبين رضا رب العالمين. فمن كانت ذات زوج ولديها مسؤوليات أو لها أعمال في بيتها، أو تطعم أولادها أو لها أعمال تأخذ جهد فتفكر قبل أن تدخل أنه يا رب أنت حمّلتني مسؤولية وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته وأنا أريد أن أعمل هذا كله لترضى عني لأنك أنت الذي حمّلتني المسؤولية وأعلمتني أنك ستسألني وأنا أود أن أفعل ما يرضيك حتى أعتذر إليك عندما ألقاك أني عملت ما أستطيع في هذه المسؤولية، ومن خفّت عليه مسؤوليته يلتفت لأمور أخرى يقوم بها، فمن لم يكن مسؤول عن والدين ولا أولاد ولا بيت فمن خفت مسؤولياته لابد أن **يستثمر أوقاته استثمارًا تامًا** ينفع المسلمين فمن يقوم بمسؤولية أو الذي يتبرع بعمل فليفكر أنه ما يريد بهذا إلَّا رضا رب العالمين، وهذا بالضبط **مفهوم الاحتساب**، العبد يقول لرب العالمين-في فؤاده في تفكيره-: أنا ما أريد بهذا إلَّا رضاك وما أسأل عن طريق إلَّا الطريق الذي يوصلني إليك وأنا سالمة؛ ولذلك في الفاتحة أسألك الطريق المستقيم الذي آخره أن أصل إليك يا رب العالمين وأنت راضٍ عني وأصل إليك بقلب سليم لم تخدشه الدنيا ولم تجرحه وإن خدشتهُ أو جرحتهُ في زمن فأنا أتوب وأرجو منك أن تغسل قلبي وتشفيه من كل مرض لكي أبلغ عندك وأنت راضٍ عني تمام الرضا.

هذه أول التجارة مع رب العالمين {يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ}(١) يعني مالهم مقصد إلا أن يتاجروا مع رب العالمين فيكون أثر هذه التجارة أن يرضى رب العالمين، فإذا رضي رب العالمين صلحت الدنيا والآخرة وصلح كل شيء.

(١) [سورة فاطر: ٢٩]

فكيف نصححه لنصل إلى أن يكون مقصدنا؟ لابد من التفكير أولًا أني لا أريد إلَّا رضاه وأبذل جهودي أن تكون هذه العُجالة الباقية عن الشهر الكريم يتشعب تفكيري فيها، فألاحظ نفسي ماذا أفعل، وكم أفكر في أن هذا يقربني لرب العالمين، وإذا أتتك الغفلة في وسط حياتك وأيامك فاعلم أن من حالة الإنسان أنه يغفل-فيجد نفسه مثلًا قام بأعمال يُسلّي نفسه بها خصوصًا مع الحالة التي نمر بها بسبب الجائحة وحبس الناس في بيوتهم وعدم قيامهم بالأنشطة المعتادة، وهي الآن خير كثير لنا لنحبس نفوسنا على طاعته وطلب رضاه، فيجد الإنسان نفسه يتشتت كثيرًا أو قليلًا-لكن اعلم أيضًا أن قدرتك على أن ترجع خيرٌ كثير، قدرتك في أن تقول في نفسك إن هذه الأعمال ما الفائدة منها، فتجد نفسك تتراجع وتتركها وتقلل الاهتمام بها مع أنها مباحة ولا إثم فيها لكنك بدأت تدخل تجارة، والتُجار لهم كثير من المصطلحات منها "اجتماعات الممرات" والمقصد منها أن لا تضيع فرصة حتى في الممرات اجتمع بفلان وعلان واستفد من وقتك قد تجد في هذه الجلسة تجارة، يعني الناس فيما عهدوا أنهم يجتمعون على الطعام يتوددون إلى بعضهم ويتقاربون ويكرمون الناس ويدخلون مجالسهم أهل الخير، لكن التجار يقولون مثلا: (غداء عمل) أو (عشاء عمل) فيأتيه بالأكل ليستفيد منه وحتى الأمور العادية التي يقوم بها الناس، التاجر لا يقوم بها، ليس لديه إلَّا عمل في عمل حتى وهو يأكل طعامه يستفيد من ذلك، فهؤلاء يتاجرون في الدنيا، ونحن نتاجر في الآخرة، نسأل الله أن يجعلنا ممن يتاجر في الآخرة. تاجر مع ربه فربح الدنيا والآخرة {تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}.

معنى هذا أن مساحة المباح ستكون مساحة مُستثمرة بقدر المستطاع، نحن لا نُريد أن نقفز قفزة نقع منها وننكسر، كل واحد منا يساعد نفسه على قدر المستطاع ومن خلال اللقاءات سنتكلم إن شاء الله على أمور تجعلنا تجار رابحين، فرمضان موسم للتجارة فلا تخسر.

بدأنا بأول أمر أصحح به تفكيري أني موجودة وأريد التجارة معك يا رب العالمين، فلك الحمد أن سمحت لي بالتجارة معك، لك الحمد أنك دليتني على طريق التجارة، لك الحمد أن أعطيتني موسم قد أضاعف فيه رأس مالي حسناتي، كل هذا يبدأ بنقطة مهمة وهو أن أفكر في أن هذه الحياة لطلب رضا الله، توحيد المطلب، هذه هي النقطة الرئيسية، وكم للتوحيد من بركات وآثار، ولا ينجو يوم القيامة إلا من وحّد الله، الله يرزقنا جميعًا ووالدينا ووالديهم وذرياتنا والمسلمين تحقيق التوحيد.

فهمنا الآن أنه سيكون تركيزنا على طلب رضا الله ونبدأ نفكر بالتفاصيل في حياتنا، أفعل كذا لترضى وأقوم بمسؤولياتي لترضى يا رب العالمين، وأترك كثير من المباحات لأن وقتي ثمين ولا أريد أن أخسر تجارتي، فأبقى في التفكير ما استطعت لذلك سبيلا، مع معرفة-وهذا شيء مهم سنكرره كثيرًا-أن من نتاجر معه لا أحد يتاجر معه إلا يربح لأنه يعامل خلقه بالمغفرة والشكر، حتى إذا حصل منهم تقصير واستفاقوا وقالوا: قصرنا وراحت الفرصة علينا يا رب اغفر لنا وأعطنا القوة، أعنا نعمل أكثر وأكثر، يغفر لهم التقصير ويشكر لهم، فلابد أن نعلم أن هذه التجارة هذه حالها، نتاجر مع من لا يُخسر معه أبدًا.

وأيضًا نعرف أمر آخر في هذه التجارة أن كل واحد منا له طريقته الخاصة في تجارته مع ربه، كل واحد مسؤول وهو في مسؤوليته يقوم بعمله يتاجر معه ربه بشرط أن يقصد رضا رب العالمين؛ ولذلك اليوم مَن في الصف الأول في هذه الجائحة وهم الطاقم الطبي مِن الأطباء والممرضات والممارسين الطبيين كل هؤلاء على ثغرة عظيمة ويجاهدون نسأل الله أن يرزقهم الإخلاص وطلب رضا رب العالمين، في ثغرتهم الآن يتاجرون مع الله إذا صدقوا في طلب رضا رب العالمين، الله يرزقهم صدق طلب رضا رب العالمين لأنه لا يكافئهم الأموال ولا الكلمات ولكن يكافئهم رب العالمين بركات تنزل عليهم الله يرزقهم الإخلاص.

وهكذا ربة البيت في منزلها، وهكذا كل إنسان في مكانه بما مُكّن منه يتاجر مع رب العالمين؛ لذلك لا نضع نموذجًا واحدًا للرابح في التجارة، فنجد الساعي على الأرملة والمسكين خصوصًا في هذا التوقيت الذي نحن فيه الله يرزقهم الإخلاص يقومون بأمر عظيم، فنعود ونقول: التجارة مع رب العالمين تكون بطرق مختلفة، فكل واحد منا له خصوصيته في تجارته لكن الأساس واحد وهو طلب رضا رب العالمين.

نأتي للأساس الثاني حتى تصح التجارة مع رب العالمين:

ثانيا: لابد من تغذية القلب بما يسبب له اليقين (نطلب أسباب زيادة الإيمان)

وهذا إن شاء الله سيكون من ضمن مواضيعنا المهمة جدًا التي نتناقش فيها.

لذا لابد أن توحد مقصدك في هذه التجارة وتقول: أنا أتاجر مع رب العالمين لكي أبلغ رضاه فإذا بلغت رضاه فقد ربحت، وليكن لك مقصد واحد ولست متشتت ومن ثمّ ستدور أعمالك كلها على هذه القاعدة ماذا نفعل؟ نبذل جهودنا على أن نقوي يقيننا يعني **نزيد إيماننا بحيث نُعظم ربنا**، وإذا عظمنا رب العالمين ضعفت الدنيا والجري خلفها ضعف هذا الجانب، وقوي تصور ما عند رب العالمين.

الثقة في رب العالمين ومعرفة أنه إذا رضي عنا كل شيء يطيب في الدنيا وتتسهل الأمور وتتيسر، إذا عرفنا هذا عرفنا أنه لابد من زيادة الإيمان.

أيضًا الذي يريد الربح في التجارة مع الله

ثالثا: لابد أن يكون ممن يدعو الله أن يربح في هذه التجارة.

يُكثر من دعاء الله أن يربح في تجارته؛ لأن الإنسان وهو مؤمن إذا تمنى واهتم أكثر من الدعاء فدعاؤه يتضمن رغبته الشديدة في هذا الأمر، يُكثر من دعاء رب العالمين أن يبلّغه رمضان وأن يسلمه لرمضان، ويَسلم له رمضان، ويربح في رمضان،

ويصل إلى رضا الرحمن، يدعو ربه أن يكون ممن صام إيمانًا واحتسابًا، يدعو ربه أن يكون ممن قام إيمانًا واحتسابًا، يدعو ربه أن يكون ممن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، وهكذا يُظهر لربه اهتمامه بالوصول إلى رضا ربه، هذا الدعاء هو العبادة، وإذا أكثر من الدعاء زادت النفس شوقًا لتحقيق هذا الأمر الذي يدعو به.

إذًا الآن سنطلب رضا الله، ونفكر فيه، ونبذل جهودنا في زيادة اليقين وندعو ربنا أن يبلغنا هذه المقامات العظيمة.

رابعا: لابد من حمد الله والثناء عليه وشكره أن جعلنا من أهل هذا الدين وأن بلغنا الشهر المبارك.

الله يبلغنا ونحن في سلامة في ديننا وأوطاننا وفي أبداننا اللهم آمين، يحمد الله على الدين وعلى فرصة التجارة، يحمد الله على أنه أعانه، يشكر الله، يُظهر فرحه بهذا الموسم أني سأربح فيه، أنه موسم سأتاجر وأجد ربحًا على رب العالمين، وهذا يشبه التاجر المسلم الذي عندما يربح يفرح بالأرباح لأنه سينفق في سبيل الله وسيكون يده بيضاء ينفق في سبيل الله، يحمد المؤمن ربه ومولاه أن جعل هذه المواسم مواسم تجارة معه أن بلغه هذه المواسم، أن جعله منشرح الصدر لهذه المواسم، ويُظهر لربه الفرح بهذا الموسم والحزن والخوف من فواته، فهذا كله تعظيمًا لأمر عظّمه الله، وبذلًا للنفس في سبيل الله بحيث يبقى الذي يُفرّحها ويدخل السرور عليها هو طاعة الله ومواسم طاعة الله، إذا قرأ القرآن فرح بالساعات التي يبقاها في قراءة القرآن، إذا صام فرح وقت إفطاره أن يومًا كُتب في ميزانه، وهكذا يكون هذا المؤمن حامدًا شاكرًا، وهذا شيء مهم جدًا الحمد والشكر لله-عزَّ وجلَّ-على هذه المواسم، الحمد والشكر الذي فيه تعبير عن فرحنا بهذه المواسم.

فإذًا هذه من أهم عوامل الربح في هذه التجارة أن يكون مقصدنا رضا رب العالمين وحده، وأن يكون أهم أداة عندنا زيادة اليقين في قلوبنا، وزيادة اليقين في قلوبنا تجعلنا نهتم جدًا بكل أسباب زيادة الإيمان التي سنتكلم عنها بشيء من التفصيل، وأن يكون هذا الإنسان الذي طلب رضا رب العالمين وزاد قلبه يقينًا أن يكون حامدًا شاكرًا لله على ما أعطاه من فرص.

وتأتي قبلها مسألة الدعاء، يُكثر من الدعاء الدال على اهتمامه بهذا الموسم، ويحمد الله ويشكره شكر من فَرِح بدخول هذا الموسم، ثم يأتي أمر مهم:

خامسا: طلب العون الدائم من رب العالمين

يعني هو يدعي: اجعلني قائمًا، اجعلني صائمًا هذا الدعاء الذي يعلم به أنه لا يستطيع الوصول إلا بعون من الله، هذا الدعاء الذي سيكون حاله يقول طوال الوقت: ربّح تجارتي، أوصلني لرضاك، اغفر لي ذنبي، سنخُصه بنوع خاص وإن كانت الاستعانة من ضمن طلب الدعاء بأن يطلب العون من الله، طلب العون من الله أيضًا سنخُصها بكنز أخبر به النبي-صلى الله عليه وسلم-من كنوز الجنة، فتجد هذا الراغب في الربح كثير الذكر عمومًا، يستعين بذكر الله وخاصة بـ: (لا حول ولا قوة إلا

بالله)، فهو كثير الذكر لله، يدعو اجعلني قائمًا اجعلني ممن يقوم ليلة القدر، ممن يفعل ويفعل ومن الدعاء أن يقول: (رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)، لكن أخذنا الآن من الدعاء شيء خاص وقلنا الاستعانة، وأيضًا الاستعانة ركزنا في تفكيرنا أننا **نستعين بذكر الله** لأن الله قد أمر من يقاتل في سبيله أن يذكر الله كثيرًا لأنها **قوة في البدن قوة في الروح**، قوة عظيمة سبحان ربي العظيم، ومن أخص هذا الذكر وقت طلب العون الإكثار من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنه غاية في النفع لمن أراد التجارة مع الله.

نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يُربِح تجارتنا معه وأن يجعلنا صادقين نرجو تجارة لن تبور، وأن نكون متيقنين وأن نكون دائمًا من الداعين الذاكرين، من الحامدين الشاكرين على هذه النعم العظيمة، والحمد لله رب العالمين.

إن شاء الله مفتتح لقاءنا غدًا نبتدئ بالكلام عن زيادة الإيمان، ونتكلم خاصة عن عظمة الرحمن ونمّر على بعض الأحاديث الشريفة التي أخبرنا فيها رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-عن عظمة ربنا وغناه فنطمع أن تكون هذه الدراسة سببًا لزيادة الإيمان، الله يتقبل منا ويرفع درجاتنا ويغفر زلاتنا اللهم آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللقاء الثاني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي دل المؤمنين على تجارة لن تبور ولن تكسد، الحمد لله الذي جعل هذه التجارة يسيرة سهلة، الحمد لله الذي مكّننا منها، الحمد لله الذي جعل موسمًا لمضاعفة الفلاح والنجاح لهذه التجارة، الحمد لله الذي أرسل لنا رسولًا يدلنا على هذه التجارة، الحمد لله الذي وعدنا أن يُعيننا ويهدينا الطريق الذي به نربح عليه أرباحًا عظيمة، الحمد لله الذي جعلنا من أهل الإسلام وجعلنا من أهل هذا الدين وجعلنا ممن مُدتْ أعمارهم، نسأله تعالى أن يبلغنا الشهر ويمتعنا به-اللهم آمين-.

ونحن لازلنا في سلسلة الكلام عن التجارة مع الله وأن رمضان موسم للتجارة مع الله بل للأرباح العظيمة التي يجدها الإنسان موفورةٌ يسيرة، والله الذي نادى الذين آمنوا قال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}(١) رغم أنهم مؤمنون قال لهم: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}(٢) وهذا أمر عجيب أن يناديهم وهم مؤمنون ويقول لهم: تؤمنون بالله ورسوله، لكن هذه دلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين أن يطلبوا زيادة الإيمان.

هذه أعظم تجارة وأجل مطلوب وهذا أعلى مرغوب، ولاحظوا: {هَلْ أَدُلُّكُمْ} يعني أتت الآية بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل مُتبصر-كما يقول الشيخ السعدي-ويسمو إليه كلُ لبيب، إذا كان صاحب لب سيسمو إليه فكأنه قيل ما هذه التجارة التي هذه قدرها؟ فقال: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} وهنا يأتي الأمر المهم الذي سنناقشه اليوم **وهو كيف ونحن مؤمنون يقال لنا: آمنوا**، وهذا الأمر الحمد لله واضح في كتاب الله، حتى أن الله-عزَّ وجلَّ-قد قال لنا في سورة النساء: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا}(٣).

معنى ذلك أن الله نادى المؤمنين مع أنهم مؤمنون أمرهم بأن يؤمنوا، وهذا من المؤكد أن معناه طلب زيادة الإيمان يعني مع كونكم مؤمنين لكن اطلبوا زيادة على هذا الإيمان، وعندما تطلبون الزيادة على هذا الإيمان اعلموا أن هذه الزيادة تأتي من طرق يعني أنت معك أصل الإيمان ومؤمن بالله ومؤمن برسوله ومؤمن بكل أركان الإيمان فيقال: في كل ركن من أركان الإيمان زد نفسك إيمانًا، راجع هذا الإيمان ولتكن عنايتك واهتمامك بتخليص هذا الإيمان من كل شائبة تشوبه ولتكن مصححًا لهذا الإيمان ومهتم بالإخلاص والصدق، ولتصحح هذا الإيمان عليك بكثرة التوبة؛ ولذلك عندما ندخل على هذا الباب وهو باب التجارة مع الله لا بد أن نبدأ بالعنوان الرئيس وهو: أن نزيد إيمانًا، وتحت زيادة الإيمان نبدأ بالأمر الأول وهو: أن نزيد تصحيحًا

(١) [سورة الصف: ١٠]
(٢) [سورة الصف: ١١]
(٣) [سورة النساء: ٣٦]

لهذا الإيمان **بالإخلاص والصدق** وتجنب كل مفسد، والتوبة عما وقعنا فيه من مفسدات، فهنا تظهر كلمة التوبة ويظهر أن لها مكان عظيم في تصحيح الإيمان وتخليصه من الشوائب، فمن أراد زيادة الإيمان فليطلب لنفسه تصحيح ما وقع فيه من إخلاص وصدق يعني يراجع مواقفه وبواعثه ويراجع تصرفاته، والآن الأوضاع تغيرت بسبب هذا البلاء الذي نزل على المسلمين وعلى العالم كله، لكنه فرصة لتصحيح الصدق والإخلاص، والآن الناس اعتادوا أن يخرجوا لصلاة التراويح واعتادوا على تنظيم حياتهم بطريقة معينة كان كثير فيها الاختلاط بالناس في أثناء قيامهم بالعبادات في صلاة التراويح والتهجد-نرجو من الله أن تنكشف عنا وراضين بما قسم لنا ربنا-فصلاة الإنسان الآن ستكون خالية وهو وحده القائم بذلك.

الصدقات أصبح الوصول إليها أصعب مما كان في السابق، فكيف سيجتهد الإنسان وكيف سيكون مخلصًا صادقًا في ذلك؟ وكيف ستكون بواعثه؟! على كل حال نراجع كل ما مضى وهنا في النقطة الأولى ستبرز لنا مسألة التوبة عن كل ما مضى من نقائص وقعنا فيها في إيماننا، في إخلاصنا، في صدقنا، في بواعثنا على الأعمال، ننظر إلى الخلف ونرى قد يكون كثير من أعمالنا لم تكن النية تامة الوضوح أو داخلتها أمور أو لم تكن غاية في الصفاء والوضوح، فنحن عن كل ما مضى يا رب تائبون، عن كل شوب في نياتنا، تائبون مستغفرون عائدون، ما نريد إلَّا وجهك الكريم، قاصدون رضاك، ملتفتون عن نظر الخلق كلهم لا نريد لا إرضاء أنفسنا ولا نظر من حولنا بل نريد أن ترضى أنت عنا يا رب العالمين.

إذا عرفنا هذا المحور الأول في مسألة زيادة الإيمان نأتي للمحور الثاني ونقول: من أجل أن تزيد إيمانك عليك أن تزيد علوم الإيمان وأعمال الإيمان، فزد معرفة عن ربك العظيم، وزد معرفة عن رسولك الكريم، وزد معرفة عن هذا الدين العظيم الذي هو مفخرة الخلق لو كانوا يعلمون، الدين الذي يجعل الإنسان دائمًا على الصراط المستقيم، الدين الذي كلما زاد عمر الإنسان كلما زاد به يقين، الدين ما يرتد عنه إلَّا من لم يصل إلى حقيقته، وكما القول السائر عند العلماء: " ما عاد من عاد من الطريق إلَّا لأنه لم يصل" لأن من وصل إلى بهاء هذا الدين وجمال هذا الدين ومحاسن هذا الدين ما يرتد عنه سخطة أبدًا، بل يعلم أنه يكفيه أن في هذا الدين يتعلم لمن يشتكي أحزانه ومخاوفه! يتعلم من هو الشافي على الحقيقة! يتعلم من الذي يجبر قلبه إذا انكسر ويرزقه إذا افتقر!

نعمة عظيمة أن تعرف من بيده التدبير، من بيده الأمر، نعمة عظيمة عندما يقال لك: اطمئن إن لك ربًا قريبًا يجيب دعوة الداعين ويفرج الكرب عن المكروبين ثم على دعائهم وندائهم يجزيهم جنات النعيم سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم.

إذًا من أجل أن تزداد إيمانًا وأنت مؤمن زد علمًا برب العالمين زد علمًا بهذا الدين، وهذا باب واسع جدًا، تأتي أيام رمضان تُدخِل على قلوب المؤمنين الإيمان من أوسع الأبواب، يقرؤون القرآن فالحمد لله رب العالمين-الله يكشف عن هذه الأمة الغمة

ويجعل سبب هذا الكشف اليقين بالقرآن أنه هو الهادي إلى الصراط المستقيم-هذا الذي يجب أن تمتلئ قلوبنا به أنه إذا فهمنا كلام الله وفهمنا مراده-سبحانه وتعالى-سنستطيع أن نعيش في الحياة كما ينبغي آمنين من الضياع والتيه، إذا وقع علينا البلاء في أبداننا عرفنا أن الشفاء بيد الله فطلبنا منه الأسباب ورغبنا إليه أن يعطينا الدواء وتضرعنا ليزيل عنا الوباء، إذا ضاقت أمور الدنيا وخوفوك بالكساد عرفت أن الله يُخرج بركات الأرض لمن شاء فاطمئننت أن لقمة قد كُتبت لك قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف عام لن ينزعها أحد منك، ورأيت أن مثل هذا الكساد الذي يخوفوك به سببًا لأن تقول: إن الله الغني وهو الذي يغني عباده، فتطمئن وهم خائفون، وتتوكل وهم تائهون، وترجو وهم قانطون يائسون، فالحمد لله رب العالمين، زد علمًا تزدد إيمانًا، واعمل ما تستطيع، لا يفرغ زمانك من عمل وأنت تقصد وجه الله وتريد رضاه، سبّح ما استطعت، واذكر الله ما استطعت، وسيأتينا هذا أمرًا مستقلًا إن مسألة ذكر الله من أعظم المسائل التي يجب التنبه لها ونحن نقدم على هذا الشهر المبارك.

ثم إذا صححت ما مضى وتبت وأقدمت على الإيمان بزيادة علم وعمل فأكثر من طلب الثبات، استمر على الأعمال الصالحة، اعزم أن تستمر على العلم والعمل واطلب من ربنا الثبات وقل: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

إذا عرفنا هذا-الحمد لله-فلنعرف أن هناك أمورًا ممكن أن تُضعضع هذا الإيمان وممكن أن تهزه، **من ذلك الغفلة** فهي من أخطر الأمور التي قد تدخل علينا، والغفلة سببها أن الإنسان يبتعد عن أجواء الإيمان، بمعنى أنه يقول: أنا أريد أن أُرّوح عن نفسي قليلًا فينتقل من مقطع إلى مقطع فتُقضى الأوقات وتقطع الأعمار وهو غافل غارق فيما لا قيمة له! ويأتي والآخر يغرق في الانشغال بالدنيا ويصبح عبدًا للدينار وعبدًا للدرهم، **فالناس لا يعلمون أن هذا الإيمان كنز إذا غفلت عنه تسرب من قلبك**، حافظ عليه وزده ما استطعت وامنعه من أن يتسرب منك.

هل نبقى طوال حياتنا على نفس درجة الإيمان؟! لا، بل قد يحدث للإنسان غفلة وقد ورد في الحديث روى الحاكم في مستدركه والطبراني في معجمه أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((إن الإيمان ليَخلق في جوف أحدكم كما يَخْلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم))[1].

يعني هذا أمر مُسّلم به أنه يخلق؛ لكن أنت ألحق عليه دائمًا وقد ورد أيضًا عند أبي نعيم في الحلية ((ما من القلوب قلب إلَّا وله سحابة كسحابة القمر، بين القمر مضيء إذا علته سحابة فأظلم، إذا تجلّت عنه فأضاء)) يعني القمر تأتي عليه أحيانًا سحابة تغطي ضوءه ثم تنقشع وكذلك قلب المؤمن قد تأتيه سحابة مظلمة بسبب معصية أو بسبب غفلة أو بسبب قلة اهتمام فتحجب نوره فإذا تركها تحجب عليه سحابة أخرى وأخرى، لكن إذا سعى لزيادة إيمانه مستعين بالله انقشعت تلك السحابة.

(١) صحيح الجامع(٥٩٠).

فلا ننسى أبدًا أن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما ينقص منه كما ذكر بعض السلف، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد إيمانه أو ينقص، ومن فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان من أي جهة تأتيه، إذًا هذا من الفقه، ولدينا مثال واضح دائمًا يحصل نتيجة النعم التي نحن فيها-الله يجعلنا من الشاكرين-فطوال الوقت يحدثونك عن أوزانهم وزادت ونقصت وأكلوا ولم يأكلوا، ويلحظون جدًا ويتعاهدون جدًا هذه المسألة وهذا طبعًا ليس موضوعنا الذي نتكلم فيه؛ لكن أكيد أن هذا من الغفلة؛ لأن الذي يجب أن تتعاهده هو إيمانك وما ينقص منه. والأمور الباقية التي أشرنا إليها؟! لا تكن هوسك، ونحن نعلم من الذي جعل هذه الأمور هوس؛ ونعلم أكيد من الذي جعلها موضوعنا؛ وكيف الشيطان كبّرها في عقول الخلق حتى نسوا أن يتعاهدوا إيمانهم وأصبحوا يتعاهدوا أوزانهم.

تعاهد إيمانك وانظر ما وزنك عند الله، لابد أن تعلم هل ازددت إيمانًا أو نقصت؟ لابد أن تعلم من أين تأتيك نزغات الشيطان والله المستعان.

على كل حال فهمنا بهذا أن المطلوب منا ونحن مؤمنون ونتاجر مع رب العالمين أن أول شيء نبدأ بأن نزداد إيمانًا، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} ماذا تفعلون؟

بيّن لنا ربنا بمنه وكرمه ماذا نفعل؟ أول ما نفعل: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}.

وهذا معناه أننا سنبذل قصار جهدنا للوصول إلى رضا ربنا، ولا تنسوا هذه الآية في سورة الصف التي في بدايتها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}(١) معنى ذلك عليكم أن تكونوا صادقين وبما أن رب العالمين دلّكم على أحب العمل إليه فلتعملوا كما طلب منكم؛ ولا تكن كاذبًا وتقل: أريد أن أعلم عن أحب الأعمال لأعملها؛ ثم عندما تعلم ما هي أحب الأعمال ما تعملها، وعندما يأتيك الموسم للتجارة مع الله لا تتاجر، ولا تنسوا أن الذي دلنا على هذه التجارة هو رب العالمين فهذه التجارة لا يهتدى إليها بسهولة ولا يعرفها الناس بيسر لكن الله وحده الذي يعلمها لأنها تُنجي من عذاب أليم، فإذًا زد إيمانك وجاهد ما استطعت وكن حذرًا من الغفلة عن زيادة الإيمان وعن الغفلة عن وجوب العمل مع هذا الإيمان.

الآن من أهم علوم الإيمان التي تتعلمها فقد اتفقنا أول شيء أكْثِر من التعلم ومصدرنا الكتاب والسنَّة وإن شاء الله في شهر رمضان المبارك يكون لنا موعد مع تفسير آيات من كتاب الله كل يوم بإذن الله، وسيكون موضوعنا هذا العام أدعية الأنبياء التي وردت في كتاب الله لنزيد معرفة بهذا الركن العظيم وهو ركن الإيمان بالرسل، وفي نفس الوقت نعرف ونزداد إيمانًا بالله العظيم الذي نادوه وطلبوه وسألوه-سبحانه وتعالى-، أما في هذه اللقاءات نأخذ من أحاديث النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-التي فيها

(١) [سورة الصف: ٢]

أخبار عن الله-عزَّ وجلَّ-، أخبار تزيدنا به يقين، وتزيدنا له تعظيم-سبحانه وتعالى-ونمر عليها كما يتيسر إشارات سريعة نسأل الله أن ينفعنا بها.

نأخذ أولًا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال:

((كَانَ النَّبِيُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: " اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ-صلَّى الله عليه وسلَّم-حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ))

وفي رواية: ((اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَن فِيهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلهِي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.))

وفي هذا الحديث يُجمع لنا بين جمل الثناء على الله التي فيها تعظيم الله وبين الدعاء، وما أطيب هذه الحال التي بها تتعلم الدعاء وتُعّظم الله، وهذا الذكر الذي مر معنا والدعاء العظيم من أدعية الاستفتاح التي كان يستفتح بها النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-صلاة الليل إذا قام يتهجد-صلى الله عليه وسلم-، وهذا الدعاء العظيم جمع معاني عظيمة ففيها أوصاف رب العالمين وفيها اعتراف الإنسان بالتوحيد، وفيها صدق التوكل والانقياد والتسليم والإخبات لرب العالمين، وفيها إقرار العبد بوعد الله ووعيده وبالبعث وبالجنة والنار، وهذه كلها من المعاني التي تزيد الإيمان فلابد أن يكون الإنسان مستحضرًا هذه المعاني وقلبه ممتلئًا بها من أجل أن تجري على لسانه فتُجدد إيمانه يعني هذه المعاني الموجودة لابد أن نفهمها فهمًا جيدًا ونعتقدها اعتقادًا واضحا وكلما ذكرناها على ألسنتنا ذكرتنا بهذه المعاني العظيمة على قلوبنا فتجدد الإيمان.

مع هذه المعاني العظيمة نزيد عليها شيء مهم يزيد إيماننا وهو أننا نقول مثل ما قال الرسول متبعين له-صلَّى الله عليه وسلَّم-غير مبتدعين، مؤمنين أن أكمل حال في العبادة هي ما كان عليها رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-فهو أعلم الناس بربه وأعظمهم له عبادة وخشية والنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أكمل مقامات العبودية، وبلغ درجة الإحسان فعبد الله كأنه يراه ووقع

في قلبه-صلَّى الله عليه وسلَّم-الإجلال لله والمهابة والمحبة والخشية وكان-صلَّى الله عليه وسلَّم-يأتي بالعبادات كلها على أكمل وجه، كاملًا في خضوعه وخشيته لرب العالمين. -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

فنفهم معاني هذه الجمل التي في الحديث بما يتيسر ونرى كيف يصف النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-ربنا بالعظمة فيقول: ((اللهم لك الحمد)) يعني يا الله الحمد كله لك أنت وحدك المستحق لأن يُثنى عليك بكمال الصفات وجميل الإنعام، أنت وحدك المستحق للحمد وللثناء لأنك وحدك الكامل في صفاتك وفي ذاتك وفي أفعالك وفي أسمائك، فأنت وحدك الذي تستحق المحبة والتعظيم، أنت وحدك المحبوب على الحقيقة.

فإذا علمنا معنى كلمة الحمد واستوعبناها علمنا كيف في سورة الفاتحة يُستفتح بهذه الكلمة العظيمة، كيف هذه الكلمة العظيمة تُستفتح فيها سورة الفاتحة التي هي أم الكتاب (الحمد لله) يعني كل الثناء وكل ما يتصور من كلمات فيها أوصاف كمال ومن معاني يشعر بها الإنسان كل هذه المعاني والمشاعر والكلمات التي فيها ثناء ما يستحقها إلا أنت وحدك، الحمد كله لله، الله وحده كامل الصفات ولذلك كل كلمات الثناء والحمد ولذلك كل المشاعر التي تنطلق للمحبوب المُعظّم المفترض أن تكون كلها لك يا رب العالمين لأنك وحدك كامل الصفات.

فنحن نحمدك ربنا حمد المحب المعظم، نحمدك كلما زدنا معرفة لك وزدنا رؤية لآثار كمالك وجمالك يا رب العالمين، ونحن لو كنا مبصرين لرأينا تدبيرك لخلقك وتيسيرك لشؤونهم وتقديرك لأحوالهم، كيف يقع على كمال الحكمة، ونحن حامدون ونُخبر كل من نلاقي بكمالك وعظمتك وجلالك، **نخبر كل من نلاقي فنقول: أكرمنا الله، أعطانا الله، سترنا الله، حفظنا الله، رحمنا الله، نقول: ما جبرنا إلا الله، ما سترنا إلا الله، ما رزقنا إلا الله، نحن نعيش في نعماء من الله، في ستر من الله، في عطية من الله، نخبر عن محاسن أسماءك وصفاتك وآثارها في حياتنا وحياة الخلق**، كيف هذه الشمس السائرة والنهار المضيء للخلق، وكيف الليل الساتر والضوء الجميل من القمر والنجوم، ما أبدع ما خلقت، ما أعظم ما خلقت، خلقته ليكون دلالة لعبيدك الضعفاء عليك، نحن نعلم أنك يا رب غيب ونعلم أن كل ما حولنا أدلة على أنك كامل الصفات، نعلم أنك غيب وأن كل المخلوقات التي نشهدها تدل على كمالك وعظمتك وجلالك فلك الحمد يا رب العالمين، أنت نور السماوات والأرض، أنت المُنور للسماوات والأرض، أنت الذي تدبر أمرها نجومها وشمسها وقمرها، أنت الذي نورت السماوات بالملائكة ونورت الأرض بالأنبياء، أنت من زينت السماوات بالشمس والقمر والنجوم وزينت الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين، وعرفنا من كلام نبيك الكريم أنه قال: ((أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أنت تنزل بي غضبك أو تحل بي سخطك)) فأنت نور السماوات والأرض سبحانك، أنت الذي نورتهما، فالله-سبحانه وتعالى-حجابه النور، وبه استنار العرش والكرسي والشمس والقمر، وبه استنارت الجنة.

ولذلك في الحديث عندما سئل النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-عن رؤية الله قال: ((نور أنى أراه!-سبحانه وتعالى-))[1] و ((لك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض)) وفي الرواية الأخرى ((أنت قيوم السماوات والأرض)) وفي رواية ((أنت قيام السماوات والأرض)) وكلها تدل على معنى كمال القيومية لرب العالمين فهو-سبحانه وتعالى-الذي قام بنفسه وعظمت صفاته واستغنى عن جميع خلقه وهو الذي قامت به السماوات والأرض وما فيهن من المخلوقات، فهو الذي أوجد كل شيء وأعدّ للخلق كل شيء وأمدهم ولازال يمدهم بما فيه بقاءهم وصلاحهم وقيامهم فهو الغني من كل وجه وكل الخلائق مفتقرة إليه، كل الخلائق بحاجته وهو الغني عن كل أحد.

فهذا الاسم العظيم اسم القيوم قامت به السماوات والأرض، كامل الغنى، كامل القدرة، قائم بنفسه-سبحانه وتعالى-لا يحتاج أحد، وهو المقيم لغيره والله لا قيام لأحد إلَّا بإقامة الله له وهذا أمر ما يستطيع العقل تصوره، كل شيء قائم لأن الله يُقيمه؛ ولذلك النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: ((ولك الحمد أنت قيّم السموات والأرض)) أنت الذي أقمتها من العدم وأنت القائم على ما يُصلحها، أنت الخالق المالك الرازق المدبر المحي والمميت، كل من سواك فقير وأنت وحدك الغني.

فالتوسل إلى الله-عزَّ وجلَّ-بقيوميته-سبحانه وتعالى-اعتراف من العبد بفقره واعتراف من العبد بأن الله هو الذي يُجرّي في بدنه دمه وهو القائم على جميع أعضائه؛ ولذلك مجرد ذكر اسم الله من قلب متيقن على مكان الألم يجد الإنسان المتيقن أثر هذا الدعاء.

معنى هذا أن العبد المتيقن بالله يعرف أن هذه الدماء لا تجري في بدنه إلا إذا أَذِن من قام على هذا البدن، فسبحان الله كيف يكون الشفاء قريب على قدر قُرب نداء رب العالمين، سبحان الله حتى الأمراض التي في النفس من الاكتئاب وغيره كيف يقول: "الله، الله ربي لا أشرك به شيئا"؛ فيجري في نفسه الانشراح، فالحمد لله الذي جعل أرواحنا وأبداننا تحت تصريفه، ولم يجعلها تحت تصريف غيره، نسأل الله أن يقوى إيماننا ويرقى حتى يكون ذكر اسم الله على هذا البدن وهذه الروح سببًا لشفائه.

يقول النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن)) أنت الخالق أنت المالك؛ أنت المدبر، أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ربيّت هذه السماوات والأرض بمعنى خلقتها ورزقتها ثم نقلتها من حال النقص إلى الكمال، وربيّت أوليائك بالإيمان ووفقتهم له وأعنتهم على إكماله فأنت رب السماوات والأرض ومن فيهن تربيهم وتنقلهم من حال النقص إلى حال التمام، وهو بهذا-صلَّى الله عليه وسلَّم-يرجو من الله كما ربّ كل شيء ونقله من النقص إلى التمام أن يُربيه التربية الخاصة التي هي تربية التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر.

---

(١) أخرجه مسلم(٧٨)

فأنت خالق السماوات والأرض أنت مالك السماوات والأرض وما فيهن، أنت المتصرف فيها بمشيئتك، أنت المدبر لأمورهم، الملك ملكك وليس لأحد معك شِركة، أنت رب العالمين، أنت الرحمن الرحيم أنزل على عبادك رحمتك،ثبت المؤمنين واصرف عنهم كل كيد يا رب العالمين، أنت الحق فهو وحده-سبحانه-الحق الذي لا يزول ولا يحول، فهو-سبحانه-لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال موصوفًا، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفا، فقولك حق يا ربنا، وفعلك حق يا ربنا، ولقاءك حق ياربنا، ورسلك حق يا ربنا، وكتبك حق يا ربنا، ودينك حق يا ربنا، وعبادتك وحدك لا شريك لك حق يا ربنا، كل شيء يُنسب إليك فهو الحق {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}(١).

فأنت الحق يا رب وعدك الحق ما وعدت في كتابك وما وعدت على ألسنة رسلك من المؤكد أنه واقع ونحن نرى أنه واقع، فزدنا يقينًا حتى نطمئن طمأنينة تامة، حتى نرى أقدارك كلها خير، ارزقنا من اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا ألا إن وعد الله حق.

فنحن على يقين أنه يرفع المؤمنين ويخزي الكافرين، يرفعهم في الدنيا والآخرة، فنسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن نكون من المؤمنين المتقين الصادقين المرتفعين عندك يارب العالمين، والمرتفعين في جنات النعيم يا رب العالمين، فأنت حق ووعدك حق وقولك حق، قولك حق صدق وعدل، قولك حق لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا، كل خبر أخبرت به يا ربنا في القرآن فهو صدق، وكل حكم حكمت به يا ربنا فهو عدل، ونحن بهذا الكتاب مستمتعين زدنا يارب العالمين حتى تكون كلمة "وقولك حق" أعظم يقين في قلوبنا، وكل يوم نزداد أن قولك حق، نحن مؤمنون وكل يوم نزداد إيمانا بأن قولك حق، والله مع هذه الجائحة نقرأ القرآن فنراه كأنه يحكي وقائع من هنا ومن هنا، يحكي ماضي كنا نعيشه ووقت معاصر نراه وأمور تختل ميزانها لكن ربنا يبين لنا كيف هذه الموازين تختل وكيف الأشياء التي كنا نراها عظيمة هي لا شيء، وكيف عندما نقرأ: {فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ}(٢) كيف هذا المعنى كنا فيه وكان أهل الصلاح والإيمان يقولونه ثم رأينا ما بعده ورأينا { لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}( ) ثم نرى {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ}( ) كيف تنقلب الدنيا والأمور ما تكون على ميزانها {فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}(٥).

(١) [سورة لقمان: ٣٠]
(٢) [سورة القصص: ٧٩ ـ ٨٠]
(٣) [سورة القصص: ٨٠]
(٤) [سورة القصص: ٨١]
(٥) [سورة القصص: ٨١ ـ ٨٢]

فالحمد لله رب العالمين ونسأل الله أن يزيدنا في قوله حق ويكون **موسم رمضان موسم التجارة** سبب لزيادة هذه المعاني في قلوبنا وسبب لزيادة فهمها وإدراكها، فلا يكشف عنا الغمة إلا الله، ولا يعلمنا إلا الله، ولا يفهمنا إلا الله، قال تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ}(١).

وعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق نعم واقع كائن لا محالة، الناس يموتون كلنا نشهد هذا وفي قبورهم يُجازون نؤمن يقينا بهذا، وبعد الموت يبعثون متأكدون من هذا، ثم يحاسبون ويجزون ثم يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير، فيا ربنا نحن مؤمنون بلقائك، متيقنون به مصدقون فاجعل لقاءنا لك لقاءً محبوبًا على وجه الإكرام ولا تجعل أبدًا لقاءنا بك لقاءً مكروهًا على وجه التعذيب، اجعلنا ممن أحب لقاءك فأحببت لقاءه يا رب العالمين، ولا تجعلنا ممن كره لقاءك فكرهت لقاءه يا رب العالمين، **وقد سأل سليمان ابن عبد الملك أحد العلماء فقال له: "كيف القدوم على الله تعالى؟ قال يا أمير المؤمنين: أما المحسن فكالغائب يأتي أهله فرحًا مسرورًا، وأما المسيء فكالعبد الأبق يأتي مولاه خائفًا حزينًا"** فاجعلنا يا رب ممن أتاك فرحًا مسرورا، اجعل إيماننا بلقائك سببًا أن يكون خير أيامنا يوم نلقاك يا ربنا، صدقنا وتيقنا فارزقنا طيب اللقاء، والجنة حق والنار حق، نؤمن أنهما موجودتان مخلوقتان، ونؤمن أنك تُرّغب عبادك في الجنة خاصة عندما يأتي هذا الشهر الكريم، تُزّين جنتك لعبادك المؤمنين الصائمين وتقول لها: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك، سبحان ربي العظيم.

هذه الجنة خلقها رب العالمين ورغّب فيها المؤمنين، وفي هذا الشهر المبارك يُزين الله كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادي الصالحين أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك، نحن مصدقون مؤمنون أنها مخلوقة موجودة وأنك ترّغب عبادك المؤمنين فيها، ونعلم أنك ناديت عبادك نداءات كثيرة: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}(٢) وحذرتنا من النار وقلت لعبادك {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}(٣) نحن متيقنون ومصدقون ومتأكدون أنك ناديت عبادك إلى جناتك وحذرتهم من النار، فاجعلنا معصومين من النار، اعصمنا من الزلل يارب العالمين واجعلنا من أهل جنات النعيم، اجعل قلوبنا ترغب فيما عندك وترغب عن ملاهي الدنيا، ونحن مؤمنون بأن ما عندك لا ينفد وما عندنا ينفد ويذهب، ومن إيماننا الإيمان بأن النبيون حق ومحمد-صلَّى الله عليه وسلَّم-حق، والساعة حق.

انتهى وقتنا اليوم إن شاء الله يكون لنا لقاء غدًا نكمل فيه بيان عظمة الله-عزَّ وجلَّ-؛ وكيف يبذل المؤمن جهوده في زيادة الإيمان بمعرفة الرحمن-سبحانه وتعالى-الذي دلنا إلى تجارة لن تبور فالحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لاإله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) [سورة الأنبياء: ٧٩]

(٢) [سورة آل عمل ن: ٣٣]

(٣) [سورة آل عمل ن: ٣١]

اللقاء الثالث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا وهو أهل للثناء والحمد، ما أعظمه-سبحانه-وما أكرمه وما أرحمه وما ألطفه بعباده، رحماته وبركاته وخيراته على الخلق نازله، وذنوب الخلق وشرورهم إليه صاعدة، نعوذ بالله من الخذلان ونسأله وهو الرحمن أن يرفع عنا هذا البلاء وأن يبلغنا شهر رمضان ونحن في زيادة من التقوى والإيمان-اللهم آمين-.

وأصلي وأسلم على رسولنا الكريم الذي قام يتهجد من الله أثنى على ربه ودعا ربه فقال: ((اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ-صلَّى الله عليه وسلَّم-حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ-أَوْ: لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ-)) قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: ((وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)) وفي رواية " هذا دعاء نبينا الكريم إذا قام من الليل يتهجد، يُثني على ربي ويحمده ويعترف بأصول مسائل الدين ويكرر هذا الاعتراف ويزداد به يقينًا".

وهذه من الأمور العظيمة التي قد مرّ معنا أننا نحتاجها ونحن ندخل هذا الشهر الكريم، نحتاج كما مرّ معنا سابقًا أن نكون على يقين، نتيقن من كل هذه المعاني العظيمة التي علمنا إياها رسولنا الكريم وفهمنا وأرشدنا والحمد لله رب العالمين، نحن نعلم أن حياتنا تجارة مع الله وأن موسم رمضان من مواسم الأرباح العظيمة على الله، ومرّ معنا أننا نحتاج إلى أمور خمس لتساعدنا للربح في هذه التجارة:

- إظهار صدق طلب رضا رب العالمين.
- الأخذ بالأسباب التي تزيدنا يقين.
- الدعاء أن نربح ونظفر على رب العالمين.
- حمده وشكره أن جعلنا من أهل هذا الدين.
- طلب العون منه وهو الرحمن الرحيم.

فهذه الخمس طريق يسير لتربح على رب العالمين، ومن أهم ما في هذا الطريق هو زيادة اليقين بزيادة أسباب الإيمان وللوصول إلى زيادة اليقين لابد من تعظيم رب العالمين ولابد من اليقين بالأصول التي أمرنا أن نتيقن بها.

فمّر معنا أمس الكلام عن مقدمة هذا الحديث العظيم وها نحن وصلنا إلى الاعتراف أن الجنة حق والنار حق وهذا يزيده كثرة القراءة في كتاب الله للوصول إلى ما وصف الله من نعيم أهل الجنة وما وصف-سبحانه وتعالى-من الوعيد والجحيم على أهل النار، ونتيقن أن النبيون حق فنحن نؤمن بأنبياء الله ورسله إجمالًا فيمن أُجمل الخبر عنهم وتفصيلًا فيمن فصّل الخبر عنهم، ونصدق كل خبر أتى عنهم وما جرى لهم مع أقوامهم ونتعلم هذا ونتدارسه استعدادًا لأن نكون من الشهداء على أقوامهم يوم القيامة كما مرّ في الحديث الصحيح المشهور " أن الله يسأل نوح عليه السلام هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيسأل قومه فيقولوا ما جاءنا من نذير، فيسأله الله وهو أعلم هل لك شهداء على أن بلغت؟! فيقول نوح عليه السلام : نعم محمد وأمته" فنكون نحن اللاحقين لكننا الشهداء على السابقين والسبب كما ورد في الآثار الأخرى أننا قرأنا كتاب الله فآمنا وتيقنا، فنحن مؤمنون بالأنبياء الكرام ولا نفرق بين أحد من رسله بل بهم كلهم مصدقون ونعلم رسالتهم جميعًا أنها دعوة للتوحيد ونعلم أنهم كلهم صادقون مصدقون، بارون، راشدون، وأنهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، بلغوا رسالات ربهم البلاغ المبين، لم يبدلوا ولم يغيروا، ولم يكتبوا منها حرف أو يزيدوا شيئا، وكلما زدنا معرفة بهؤلاء الكرام زدنا إيمانًا بهم ويقين وزدنا امثالًا لهم في حياتنا وتصديقًا لرب العالمين أنه عندما خلق الخلق لم يتركهم هملا بل أرسل إليهم رسلا، علمتهم الطريق المستقيم، فما ضل من ضل لنقص العلم ولا لفقدانه ولكن ضل القوم من أهوائهم.

ولذا كان ذنب الأحبار والرهبان الذين كذبوا وافتروا وردوا رسالة النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-ذنب عظيم لأنهم كفروا وصدوا عن سبيل الله.

فالجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، فكلما زادت الأيام على المؤمن زاد يقين على هذا الحق ولقي رب العالمين ويقينه كأمثال الجبال أن محمد-صلَّى الله عليه وسلَّم-حق، أنه رسول من عند رب العالمين، ونلاحظ في الحديث أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لم يقل: "أنا حق" فجرد نفسه عن ذاته كما قال شُرّاح الحديث وقال: " ومحمد حق" وفي هذا مبالغة في إثبات نبوته وإرشاد أمته أن يشهدوا أن محمد-صلَّى الله عليه وسلَّم-حق، أرسله ربه بالحق، قضى حياته في إظهار الحق، ومن أخذ سنته فقد أخذ بالحق اليقيني الذي لا زيادة عليه، وما من صاحب طريقة ولا منهج إن صدق في إرادة الوصول إلى الصراط المستقيم ما عليه إلا أن يؤمن بالرسول الكريم ويصدق أنه حق وأن كل ما جاء به فهو حق يوصل إلى الصراط المستقيم.

وهذا لابد أن نتصوره ونحن نصلي على النبي-صلى الله عليه وسلم-؛ لأن المصلي على النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يطلب من رب العالمين أن يُثني عليه في الملأ الأعلى وأن يرفع مقامه وأن يجعله-صلَّى الله عليه وسلَّم-صاحب الدرجات العلى ومن صلى على النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لابد أن يعلم لماذا هو يصلي عليه فإن الصلاة على النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-خبر

منك أيها المصلي أنك تعلم أن هذا الرسول حق وأن ربنا عندما اصطفاه اصطفى عبدًا قد كمّله، ونحن نشهد بكماله البشري ونشهد أن الله عندما أرسله أرسل خير الخلق بخير الشريعة، فنحن مصدقون بمن أرسله راضيين باصطفائه لهذا الرسول نرى كمالات هذا الرسول التي تدل على كمال من أرسله واصطفاه واختاره من بين الخلق وأدّبه ورفعه وثبّته وصدّره، عندما نصلي على الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-نشهد أن ربنا قد منّ علينا به، عندما نصلي على الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-نشهد أن ما جاء به الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-هو حاجتنا وبُغيتنا، نشهد أن ما جاء به الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-من عند ربه لا زيادة عليه ولا يحتاج الناس غيره ولا كمال إلا في هذا الشرع الذي جاء به الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم-.

ونحن نؤمن أن النبيون بالعموم حق وأن محمد-صلَّى الله عليه وسلَّم-حق، وكلما صلينا وسلمنا على رسول الله ازددنا شهادة عند الله أننا بهذا كله مؤمنون مصدقون، أن مُرسله الرب العظيم، أرسل هذا الرسول الكريم الذي وصفه أنه على خلق عظيم وأن ربه أدبه فأحسن تأديبه ورفعه في كل صفات الخير، وصرف عنه كل صفات الشر فكان قدوة وشرعه هو الهداية والهدى والصراط المستقيم.

فنُعظّم في نفوسنا هذا اليقين ونرى أن ما شرعه-صلَّى الله عليه وسلَّم-في كل حياتنا وفي رمضان خاصة من الصيام والصلاة والتراويح ومن القيام ومن قراءة القرآن، كل ما كان من سنته في هذا الشهر الكريم كان خيرًا عميمًا على المسلمين جميعًا.

ونؤمن أن الساعة حق وأنها ستأتي، لا خلاف في ساعة كل إنسان لكن هنا الساعة يعني يوم القيامة وما فيه من الحساب ونشر صحائف الأعمال والميزان والصراط والحوض والقنطرة كل هذا صدق وحق لا شك فيه، لكن ليزداد كونه يقين ولا تتفلت منك هذه المعاني العظيمة لابد من كثرة المراجعة لهذه الحقائق وتصلح نصب أعيينا فنشتغل بتحمل مسؤولية أنفسنا اليوم والاستعداد لذاك اليوم بمعرفة دقائق ما يحصل في ذاك اليوم، ولنأتي بالإخلاص والاحتساب ونسهل علينا هذه الأمور لابد أن نعلم آثار أعمالنا هنا التي دعانا إليها ربنا ورغبّنا فيها وحببّنا فيها لابد من معرفة آثارها في ذلك اليوم العظيم ماذا سيكون، أنت صدقت فأنت تحت ظل صدقتك يوم القيامة والناس الشمس تقترب منهم فلولا أن الله رزقهم أبدان ما تحترق لكانوا احترقوا ويلجمهم العرق وأنت تحت ظل صدقتك، علمت هنا أن من تصدق تظلل يوم القيامة فأخرجت صدقتك راغبًا أن يرضى عنك ربك وينفعك بها حسنات وظلالًا وينفعك بها درجات والله واسع عليم، والله كما مرّ معنا غفور شكور يشكر العمل القليل فيُعطي عليه الأجر الكثير فاطمع في رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، هنا تقرأ القرآن وتهتدي به فيكون لك نورًا في قبرك وعندما تُبعث وتأتي الحالة التي تُطفئ فيها أنوار الخلق تطفئ فيها الأنوار تمامًا وما يبقى إلا أنوار المؤمنين، ويكون القرآن واليقين الذي في قلبك هو النور الذي يمتد حتى يريك ما أمامك فتصل ثابتًا، ولذا المؤمنين عندما يرون آثار نور إيمانهم يوم القيامة ويرون أن

هناك أقوام انطفأت أنوارهم فيخافون ويدعون رب العالمين أن يتمم لهم نورهم من أن ينطفئ كما انطفأ نور المنافقين ولذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(١)

ما الذي يأتي بهذا النور؟ من أين يأتي النور؟ كيف يبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين المخدوعين؟ تعلّم لتعرف هذا النور من أين أتى، قال تعالى: {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا}(٢) فاطلب من رب العالمين أن يدلك ما الطريق لهذا النور الذي يتمتع به الناس في قبورهم وعند بعثهم ونشورهم، ما الطريق؟ كيف يكون القرآن نورًا لنا؟ كيف يكون الإيمان نورًا لنا؟ كل هذا يحتاج إلى زيادة علم ويقين واهتمام وبغيتك كلها في القرآن والسنَّة بارك الله لنا فيهما وحفظنا عليهما وأبعدنا عن البدع وأبعدنا عن الفتن ما ظهر منها وما بطن، كلما قرأت في الفاتحة اجمع قلبك على طلب الهداية: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}(٣) ليثبتنا رب العالمين على طريق السنَّة ويبعدنا عن طريق البدعة وعن الشتات الله يجمع قلوبنا على سنَّة نبيه-صلَّى الله عليه وسلَّم-ويجعلنا في جانب والبدع في جانب اللهم آمين.

إذًا هذه الساعة حقٌ وعلى الخلق أن يستعدوا لها فإنها الموعد، موعدنا في تلك الساعة، الساعة التي لا عَلَم فوقها، الساعة التي عرفها كل أحد، هي الموعد الذي يجزي الله فيه المتقين ويرفعهم درجات على العالمين ويجعل من شاء منهم على منابر من نور ويظل من يشاء منهم تحت ظل العرش ويرفع من شاء ويخفض من شاء-سبحانه وتعالى-فاستعد لذلك الموعد واجعله على بالك دائمًا، ما الذي يُشّرفك ويرفعك ويجعلك صاحب شأن في ذاك الموقف؟! احمل همه وعامله على أنه موعد لابد أنه سيكون حق، لابد أن يُنجز وكل ما أُخبرنا أنه سيحصل في ذاك اليوم العظيم فكن على يقين منه، والساعة حق.

ثم نأتي للجزء الثاني من الحديث بعدما عرض النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-في الجزء الأول عظمة رب العالمين وكبرياؤه وجلاله وكماله وبعدما أقّر-صلَّى الله عليه وسلَّم-بحقائق الإيمان التي تحتاج إلى زيادة يقين ويقين وأن يُصرف العمر كله لزيادة هذه الأمور يقينا، اترك عنك الاستخبار والأخبار لا تستخبر ولا تُخبر، ادخل هذا الشهر وأنت بقدر ما تستطيع محافظ على قواك القلبية، تريد أن ينتهي رمضان وقد زدت إيمانًا وتخرج بتجارة رابحة مع الرحمن، تزداد يقينًا حتى تكون الأمور التي في الغيب كأنها شهادة وتراها بعينك، الله يرزقنا هذه الأحوال التي إذا ذاق العبد منها السير لطار فرحًا ولطابت ذكراه، طاب ذكر هذا الشيء في قلبه، يعني من لطائف الأخبار عن الساعة أن الخلق عندما تقوم القيامة وتعود الأرواح إلى أبدانهم وتُبشر المؤمنين الملائكة-أول ما يخرجون من قبورهم ويرون الفزع العظيم الذي يكون فيه الخلق-وتقول لهم: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا والآخرة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

---

(١) [سورة الحديد: ٢٨]

(٢) [سورة الأنعام: ١٢٢]

(٣) [سورة الفاتحة: ٦]

ورد في بعض الآثار أن هذه البُشارة في هذه الساعة تبقى حلاوتها حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وهم في الجنة يتذكرون لحظة تبشير الملائكة لهم فيشعروا بالسعادة وستكون أحداث يوم القيامة وكل ما يحيطنا في هذه الأيام عظيمة القدر فيها من إظهار عظمة الرب-سبحانه وتعالى-، لكن لابد أن نعلم أن يوم القيامة سيكون أعظم، يعني كنا نسمع ونعتقد الحمد لله مطمئنين أن مهما حصل للناس من قوى، فالله في لمحة بصر يمحي هذه القوى كلها، هذه عقيدة راسخة في قلوبنا، تجلّت اليوم والناس في ذهول من تجلّي هذه الحقيقة لكن ستكون هناك حقائق أعظم وأعظم، فأنت الساعة الحق اجعلها على بالك واهتم بها ومن آثارها استسلم لله وآمن بالله كما سيأتينا في الجزء الثاني من الحديث:

((اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت)): كل هذه الجُمل في الأعمال القلبية والجارحيّة التي تنتج من العقيدة السوية، فإنه لا معنى لاعتقاد لا يُرافقه عمل، وأهل السنَّة والجماعة متفقون جميعًا أن هذا الدين وأن الإيمان قول وعمل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لابد منهما، تؤمن وتعمل الصالحات، "فاللهم لك أسلمت"، هنا العمل يوجد عمل قلبي وجارحي:

- "العمل القلبي": أن يعتقد كل ما مضى، يعتقد عظمة رب العالمين وأوصافه-سبحانه وتعالى-كما قال الرسول الكريم في هذا الحديث: ((اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ-صلَّى الله عليه وسلَّم-حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ)).
- " العمل الجارحي".

وغالب الأعمال في الكتاب والسنَّة قلبية صِرفة يعني القلب فقط يقوم بها، ثم تأتي الأعمال الجارحية ولابد أن يكون لها جزء من العقيدة والعمل القلبي؛ ولذلك النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((إن في الجسد مضغة إذا صلُحت صلُح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله))(١) يعني طوال الحياة يكون الاهتمام بهذه المضغة ويكون الانجاز هو محاولة أن تتقدم هذه المضغة في اليقين والإيمان وفي الصلاح وفي النجاح، هذا هو الفوز العظيم الذي من ورائه يأتي: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}(٢) .

(١) أخرجه البخاري(٥٢)

(٢) [سورة آل عمران: ١٨٥]

يقول-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((اللهم لك أسلمت)): أي: استسلمت وأطعت وانقدت لحكمك وأمرك ونهيك ورضيت وآمنت واستيقنت، كل هذا الإسلام، فأنا مستسلم لحكمك يا رب العالمين، لأمرك ونهيك، تأمرني أن أصوم النهار صمته، تأمرني أن أفطر وقت الغروب أفطرت، تأمرني أن أتسحر في الليل، تأمرني أن أصلي هذه الصلاة صليت، يقول لي رسولك: "لا تصم يوم الشك" فلا أصم، أنا مستسلم أرشدني لرضاك في كل حال، أنت تأمرني، وأنا أستسلم.

وقد ذكرت لكم كثيرًا في لقاءات ماضية كررت قصة امرأة كانت غير مسلمة ثم أسلمت وقد أتت لمكة للعمرة والحج وسألت من تستفتيه تسأل عن شيء في اللباس أو في هذه الأمور، وعندما أتى ليرد عليها رأت أنه متردد ويخاف أن يقول لها الحكم فتنفر، فكأنه خاف على إيمانها فهي بادرته بقولها: أنت قل لي فقط ماذا يُرضي الله؟ افعل فعلت، لا تفعل فلن أفعل. إن أمرني، سمعت وأطعت، وإن نهاني سأنتهِ، ولا يحتاج أن تقول لي الحكمة أو لماذا أفعل أو لا أفعل.

فلك أسلمت أنا مستسلم، ما أحاكم هواي إنما أُسْكت هواي وأطيع أمرك ((لك أسلمت)) أنا أحمل نفسي حملًا على ما تأمرني.

((وبك آمنت)) أنا مصدق بما أنزلت وبكل ما أخبرت، أعلم أنك حق وأن كل ما أمرت به حق، بك آمنت وهذا من فضلك عليّ وتوفيقك، وعليك توكلت فأنا مُتبرئ من حولي وقوتي في تصريف أموري، بل لا حول ولا قوة إلا بالله، عليك توكلت أفوض أمري إليك، أنت حسبي ونِعم الوكيل، نِعم من أُوكل إليه أمري، وإذا وكلت أمري إليك علمت أنه انقضى إلى خير، وأن كل شيء مصروف وأن كل خير مجلوب بأمرك يا رب العالمين.

((وإليك أنبت)) رجعت إلى الخير وعدّت إلى ما يُرضيك، وتبت عما لا يرضيك، فأنا مُنيب إليك فأعني على العودة إليك، أعني على الثبات، بصّرني مواقع فتنتي لأتحاشاها وأبعد عنها، باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، أنا مُنيبة، عائدة، مُقبلة، راجعة لا تردني خائبة، فأنا أطعت أمرك وتبت ورجعت من توفيقك فارزقني همة في طاعتك وعبادتك، وارزقني قوة للقيام بما أمرتني وبما يُقربني إليك، يا رب أنا مُنصرفة عن غيرك فقوّني في الإقبال عليك، وأنا مفوضة أمري لك فأعني على الانتفاع بكل ما تُقدره علي في الوصول إلى رضاك.

الإنابة شأن عظيم، العمر كله فرصة للإنابة وأحسن موعد للإنابة إلى رب العالمين والرجوع إليه والوقوف عند بابه والانشغال برضاه وتفريغ النفس لذلك أحسن موعد هو الشهر المبارك شهر رمضان، ويعيننا الرحمن على ذلك فيُصفد عنا الشياطين، فنُقبل عليه منيبين صادقين راجين موحدين، الله يقبلنا جميعا، ويقبلنا منيبين راجعين منصرفين عن غيره وهو رب العالمين الرحمن الرحيم.

يقول النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((وبك خاصمت)) بك أحتج وأدافع وأقاتل بما أعطتيني من البراهين والقوة، يعني بك خاصمت بمعنى حاججت وخاصمت من عاندك، من كفر بك، من خاصم فيك، فأنا مؤمن بك كافر بالطاغوت، أعلم الخير هو الذي جئت به، وأرفض الشر الذي نهيت عنه، ولا أعظم من التوحيد خيرًا ولا أشر من الشرك شرًا.

والشرك والكفر والإلحاد والنفاق أمور خطيرة عظيمة أسألك أن تحفظني منها وأن تجعلني ممن خاصم من أتى بها، لماذا أخاف لماذا لا أتركه؟ هذا دليل الكفر بالطاغوت ولذا من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى، لابد يا أيها المؤمن أن تطلب من ربك أن يقويك في إيمانك، بحيث لا تكن إمعة، كلمة تأتي بك وكلمة تذهب بك، يُلقون عليك الشبه من هنا وهنا فتجد نفسك سابح معها.

هل معنى ذلك أني أبحث عن المخالفين وأناقشهم وأخاصمهم في هذا الأمر؟! لا، لكن بك خاصمت يعني أنا في نفسي مطمئنة لما أتيت به، وإذا مرّت شبهة-اللهم أبعدنا عن كل الشبهة وسلّم نفوسنا من كل شبهة وبلية-في نفسي أعلم أنها باطل وأنت تقوّيني وتعينني على أن أخاصم أهل الباطل فتبدأ المخاصمة من داخل نفسي أن هذا الكلام ليس صحيحًا ولا أقبل به، حتى لو لا يوجد دليل أنا متأكدة أن ما يعلموه أو يتكلموا به أو يجعلوه في دين الله من أنواع الكفر والإلحاد أنا على يقين أنه باطل لكن ما أُتيت من العلم لأخاصم به، فكل واحد يخاصم على قدره فتُخاصم الشيطان الذي يلقي عليك هذه الشبه، وتدفع الوسواس وتسكت الشيطان وتعود للمُحكم الثابت، وعندما يأتيك كلام لا معنى له ويشوشك فقل: رب بك خاصمت أيدني وانصرني ادفع عني عدوي وارزقني من الطمأنينة واليقين ما أخاصم به أعداء الدين، أعداء الدين ما بداخلك من الشيطان، والمحيط الذي يحيط بك، فكلا على حسب.

فلا تدخل في أبواب ولا تحكم بأحكام ولا تتكلم بكلام بلا علم حتى لا تدخل في باب القول على الله بلا علم، وكلًا يخاصم على حسب حاله.

((وإليك حاكمت)) أي جعلتك الحاكم بيني وبين أهل الباطل دون غيرك، فلا أرضى إلا بُحكمك ولا أعتمد إلا عليك وإليك حاكمت، فإن كان حُكمًا على أرض الواقع وفي مسائل مادية محسوسة فالتحاكم إلى شرع الله وإن كان في أمور ومظالم فأنت ترضى بحكم الله وتوكل الله وخصوصًا حال العجز فالعبد حال العجز عن أخذ حقه يشعر بأنه مظلوم ويشعر أنه لا شيء يرد له حقه فيكون غاية في الحزن والاكتئاب والذل لكن يقال لك: لا أبدًا اجعل الحالتين متساويتين وأنت قادر أن تأخذ حقك وأنت غير قادر على أخذ حقك، وقل: بك خاصمت وإليك حاكمت وأنت تنصرني على من اعتدى علي، إن كنت ترضى لي أن آخذ سبب مادي فأحاكمه فأعني عليه، وإن كنت يا رب لا ترضى لي أن أنشغل بذلك فاصرفني عنه، ويوم القيامة ارفع مقامي وأعطني حقي، المظلوم يرفع شكواه لرب العالمين فيحكم الله في الظالم هنا قبل ذاك اليوم.

فمخاصمتي لك لا لهواي ومحاكمتي لِشَرعك لا لشيء سواه.

((فاغفر لي ما قدمت وما أخرت)) ما قدمت من الذنوب والأعمال السيئة ومن التقصير، ما قدمت من شهواتي على الحقوق وما أخرت أي من الحقوق التي تجب عليّ، فاغفر لي هذا وهذا، وأدخلني على هذا الشهر الكريم وقد غفرت ذنوبي فتخفف ثُقل ظهري وتقوّي قلبي وروحي وبدني لطاعتك وللإقبال على مراضيك، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما حدثّت به قلبي وحرّكت به لساني، ما حدّثت به نفسي، ما عزمت على أمور أنت أعلم بها اغفر لي إياها.

((أنت المقدم وأنت المؤخر)) تقدم من شئت من خلقك إلى رحمتك وطاعتك بتوفيقك وتؤخر من شئت منهم فتخذلهم من التوفيق وأنت بعلمك وحكمتك يا ربنا تقدم وتؤخر، تُعز من تشاء وتُذل من تشاء، فاجعلنا ممن قدمت وممن رفعت إلى رحمتك والى طاعتك أبعدنا ممن أخرته وخذلته بشؤم معصيته تفضل علينا بالتقديم واغفر لنا كل ذنب يُسبب التأخير، وأنت الحكيم العليم الرحيم فاجعلنا يا رب العالمين ممن قدمتهم.

((أنت إلهي لا إله إلا أنت)) وهنا نرى كيف بدأ الله الدعاء بالحمد فقال-صلى الله عليه وسلم-: ((اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض..)) إلى آخر هذا الثناء العطر العظيم الذي كله توحيد، وختمه بالتوحيد فقال: ((أنت إلهي لا إله إلا أنت)) أنت وحدك محبوبي، أنت وحدك المُعظم الذي تستحق الانكسار بين يديه فلا معبود بحق إلا أنت يا رب العالمين، أنت الإله كامل الصفات الذي تستحق المحبة والتعظيم، لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلا يحول العبد من حال إلى حال ولا قوة له على ذلك إلا بالله فإننا عبيد ما نقوى على التحول على الطاعة إلا بمعونة الله، فما أعظم هذه الإعانة، فاجعل تحولنا ما يكون إلا للأحسن وللطاعة وللأفضل، حولنا من معصيتك إلى طاعتك ومن قليل الطاعة إلى كثير الطاعة ومن طاعة فيها قليل الخشوع إلى طاعة كثير الخشوع، واجعل هذا الشهر مبارك مليء بالطاعات حولنا من حال الغفلة إلى اليقظة، حولنا من الكسل إلى حال الرغبة والنشاط، لا حول ولا قوة إلا بالله هذه الكلمة العظيمة كنز من كنوز الجنة ومن أعظم الكلمات التي علينا ترددها وتكرارها في هذا الشهر المبارك، تدخل هذا الشهر وليس معك قوة إلا التي يعطيك إياه الله، على الطاعة وعلى الصيام وقرأت القرآن وعلى أعمال الخير والبر كلها فالزم: لا حول ولا قوة إلا بالله يعطيك الله. وهو لا حول ولا قوة إلا به.

وهذه الكلمة كنز من كنوز الجنة فالكنز هو المال النفيس الذي يخفى على أكثر الناس وهذه الكلمة ثوابها مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس الأموال، وهذه الكلمة من المهم جدًا فهمها فهمًا يقينيًا، لندخل هذا الشهر ونكون في أحسن حالة لابد أن يكون حالنا فيها من آثار هذه الكلمة، واتفقنا أن الأمور التي تساعدنا في الربح على الله أن أظهر صدق طلب رضا الله وأزداد يقينًا وإيمانًا وأسأل الله أن أن أربح وأحمد ربنا أن جعلنا من هذا الشهر وأطلب العون الدائم من الله بالذكر عمومًا وبلا حول ولا قوة إلا بالله خصوصًا.

ففي هذه الكلمة كمال التبرؤ من الحول والقوة وفيها استسلام تام له، وأتحول من حال لحال بقوة الله فأعطني يا رب القوة وقوني على طاعتك، فإذا حدّثتك نفسك بالكسل في نهار رمضان فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله وأكثر منها واعلم أن الساعات في هذا الشهر أبواب تفتح على كنوز فافتح على كل ساعة باب من الخيرات يفتح لك باب من الكنوز واستعن على أخذ كنوز هذه الساعات بالكلمة التي هي كنز من كنوز الجنة، فلا تجعل ساعة تمر ولم تفتح فيها لنفسك باب من كنوز هذا الشهر المبارك.

ولكي تفتح هذه الكنوز استعمل هذه الكلمة التي هي كنز من كنوز الجنة، نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعله شهرًا مباركًا علينا وعلى عموم المسلمين، وأن يشفي مرضاهم ويعين فقيرهم وييسر على كل صاحب عسرة ويجعلنا في فسحة من شأننا نصوم ونصلي بأمن وأمان وهذه النعم لابد من شكرها فإن الناس قد انفرطت أمورهم من حولنا ونحن الحمد لله في نعم من أعظمها أنه-سبحانه وتعالى-أمَّننا من المخاوف وأنه-سبحانه وتعالى-جاء بهذا الشهر الكريم ونحن في هذا الكرب ليزيد ذلنا وانكسارنا لربنا وتكون أيام يسر في داخل هذا العسر، وتبقى ذكرى صيام هذا الشهر على هذا الحال خير زاد لنا عندما نلقى ربنا، اللهم تقبلنا وارفعنا وانفعنا وزدنا لك تعظيمًا وزد قلوبنا ثباتًا وزد ألسنتنا ذكرًا لك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللقاء الرابع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنه وكرمه الذي مدّ في أعمارنا حتى نقترب الشهر الكريم أن يبلغنا رمضان وأن يزيدنا إيمان، ويجعلنا من الصادقين المخلصين، نصوم إيمانًا واحتسابا، ونقوم رمضان إيمانًا واحتسابا، ونقوم رمضان ليلة القدر إيمانًا واحتسابا، وفي هذا كله نكون ممن استجاب لندائه-سبحانه وتعالى-لما نادى المؤمنين وهو الرحمن الرحيم ناداهم فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}[1] ما أرحمه بعباده المؤمنين، ما أرحمه بعباده المؤمنين وهو قد دلهم على أعظم تجارة وأجلّ مطلوب وأعلى مرغوب.

نحمده حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونرجو منه وهو الذي دعانا ونادانا من فضله لهذه التجارة نرجو منه أن يُعيننا على الربح أن يعيننا على الربح فقد تشوّقت النفوس لهذه التجارة التي دلّنا عليها، فنسأله بمنه وكرمه أن يعيننا على أن نتاجر معه على سنة الرسول الكريم-صلَّى الله عليه وسلَّم-، ونسأله أن يجعلنا ممن امتلأت أفئدتهم بالتصديق بهذه التجارة وبما لنا بعد هذه التجارة يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، مع هذه المغفرة دخول الجنات {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[2] هذا في الآخرة، وفي الدنيا: {وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[3] نسأل الله أن يزيل عنا الوباء والبلاء ويرفع عن هذه الأمة الغمة اللهم آمين.

يقول ابن القيم في هذه الآية: **"فلله ما أحلى هذه الألفاظ وما ألصقها بالقلوب وما أعظمها جذبًا لها وتسييرًا إلى ربها، وما ألطف موقعها في قلب كل محب، وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشه حين تباشره معانيه فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم."**

مما يزيدنا طمعًا في نجاح هذه التجارة كما مر معنا أن نُعظم رب العالمين ونعرفه فتطمع نفوسنا أكثر في هذه التجارة، وفي ذلك ما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((يد الله سحاء ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار)) وفي رواية: ((إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)) وقال-صلَّى الله عليه

(١) [سورة الصف: ١٠]
(٢) [سورة الصف: ١٢]
(٣) [سورة الصف: ١٣]

وسلَّم-: ((أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ " قَالَ: " وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ)).

ففي هذا الحديث بيان لملكه وجوده وإحسانه وكمال قدرته وعظمته، فكيف لا يُعّظمه من عرف صفاته-سبحانه وتعالى-؟! الحمد لله الذي علّمنا أن ملكه وخزائنه لا تنفذ ولا تنقص بالنفقة والعطاء،

وهو-سبحانه-القائل: {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ}( ) .[1]

وهو-سبحانه-القائل: {وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ( ).[2]

وهو-سبحانه-القائل: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ}(٣) .

ولذا من عرف هذا المعنى ما خاف فقرًا، ولا خاف حاجة، ولا يهددونه لا بالكساد ولا بغيره، ولا يخوفونه، إنما يعلم أن الله-عزَّ وجلَّ-قال: ((يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْر))( ) فمن المؤكد أن الله-عزَّ وجلَّ-إذا قبض وهو القابض الباسط إنما يقبض لحكمة وإنما يبسط لحكمة والدنيا كلها اختبار.

فلابد أن نقف عند هذه المعاني ونعيدها على أنفسنا ونفهمها بالتفصيل لتكون هذه المعاني قائمة في نفوسنا:

((يد الله سحاء ملأى)): أي: شديدة الامتلاء بالخير الكثير وما لا نهاية له من الأرزاق والعطايا، يد الله ملأى ما فيها ديون ولا حسابات، لا يغيضها ولا ينقصها شيء سحاء الليل والنهار، دائمة العطاء في الليل والنهار، "سحاء": هذا معنى يدل على أنه-سبحانه وتعالى-يصب على عباده صبًا، العرب تقول: سحّ الماء إذا انصب من فوق وارتفع حتى وصل حد السيلان.

فيد الله سحاء الليل والنهار وعن ظهر غنى لا مانع لما أعطى، فهو يشبه انصباب الماء من فوق، يكون بسهولة وبسرعة، وإذا أخذ الماء في الانصباب لا أحد يستطيع رده، وهكذا عندما يعطي الله المؤمن لا أحد يستطيع رد عطاياه، فيده سحاء دلالة على أنها ملئ وأن الغنى كله له، يد الله-سبحانه وتعالى-ملأ سحاء دائما تعطي الليل والنهار، ومع ذلك ((فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ)) أي: لن ينقص فالله تعالى له الجود الكامل والإحسان، ومنه العطاء، خزائن رحمته لا ينقصها الإنفاق إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، وهو كما نعلم بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، فلا أحد يمنع عطاؤه، وإن أعطى أحد فهو

(١) [سورة النحل: ٩٦]
(٢) [سورة المنافقون: ٧]
(٣) [سورة الحجر: ٢١]
(٤) أخرجه مسلم(٢٥٧٧)

الغني، وإن منع أحد فهو الفقير، قد بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي على الخلق وأمرنا جميعًا أن نتعرض لنفحات جوده، أمرنا أن لا نسد على أنفسنا أبواب الرحمة بالمعاصي، وإذا أخطأنا أمرنا بالاستغفار ليجري شريان العطاء، لا ينتهي، سحاء الليل والنهار، خيره في جميع الأوقات مدرار، والحمد لله أن أرزاقنا ليست بيد الخلق ولذلك يقولون ما يقولوا فنحن الحمد لله رزقنا بيد الله، وقد نبهنا الله لهذه النعمة الواجب شكرها قال: {قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا}(١) طبعه البخل والشح فيُمسك خشية النفاذ، لكن لله-عزَّ وجلَّ-عظيم صفة العطاء، ونحن نؤمن أن له يدان وأنهما مبسوطتان بالعطاء والنعم، ونؤمن أن كل النعم التي تعيشها الخلق مؤمنهم وكافرهم إنما هي من عطايا الله-سبحانه وتعالى-.

قال-صلى الله عليه وسلم-: ((أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ)) فهذا تبيين وإيضاح وتأكيد أنه لا تخف وكن مطمئنًا فالخيرات كلها التي في الدنيا والآخرة ما هي إلا من الله، فيد الله ملأى لا تنقص بالنفقة والعطاء فتعطي الخير الليل والنهار لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وإذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، فأنت اسأل واطمئن وارجُ من يقول للشيء: كن فيكون، وهذا في شأن الدنيا والآخرة، كل مطامعنا عند باب الله.

فعظّم الله وكن متصلًا بذكره واعلم أنه صاحب العرش المجيد وأنه الفعّال لما يريد، وهذا العرش العظيم الذي خلقه قبل السماوات والأرض يدل على عظمته وجلاله، ويدل على أنه-سبحانه وتعالى-الخلاّق العظيم.

في رواية يقول-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ)).

الميزان هو العدل لأن بالميزان يقع العدل، فالله تعالى يحكم في خلقه بميزان العدل، فمن عمل ما يستحق الرفع رفعه الله، ومن عمل ما يستحق الخفض خفضه الله، يخفض القسط ويرفعه، فالله تعالى يخفض من يشاء، ويرفع من يشاء، يوسع الزرق على من يشاء، يضيقه على من يشاء، فلا تتعجب من أفعال الله ولا تتعجب من انقلاب الدنيا وتغييرها، لا تتعجب لأن الله بيده الميزان يخفض ويرفع {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}(٢) يغفر ذنبًا، ويكشف كربة، ويجيب داعيًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين، فعلى ما العجب!

وها أنت ترى مرفوعًا أصبح مخفوضًا ومخفوضًا أصبح مرفوعًا، والناس مضطرين لا يدرون لأي مكان يفرون، وعند من ستكون القوة، لكن أنت يا مؤمن تعلم أن القوة بيد الله وأن الله يرفع الميزان ويخفضه، وأنه تعالى يقسم بين الخلق بشيء موزون ما يستطيعه الخلق ولا يفهمونه، فيوزن من أرزاق العباد النازلة من عنده ميزانًا يختبر كل إنسان به، فوقت يقتّر عليهم الأرزاق

(١) [سورة الإسراء ١٠٠]
(٢) [سورة الرحمن: ٢٩]

ويخذلهم بسبب المعاصي، ووقت يرفع بعض خلقه ابتلاء ببعض، ووقت يرفع بعض المؤمنين التائبين الصادقين المستغفرين، يرفعهم بتوسيع الرزق والتوفيق للطاعة، كل هذا بعلمه وحكمته-سبحانه وتعالى-.

وهو تعالى بيده الفيض يعني فيض الإحسان بالعطاء والرزق الواسع، وبيده القبض يعني المنع، فيده سحاء الليل والنهار وأيضا بيده المنع، فيكون بيده العطاء والمنع ويرفع ويخفض.

من هذا الحديث عرفنا عظمة رب العالمين بما أخبر به رب العالمين بما أخبر به النبي الكريم أن يد الله-سبحانه-وكلتا يديه يمين، في يده اليمنى الإحسان للخلق وفي يده الأخرى العدل والميزان الذي يخفض به ويرفع، فالفضل بيده والعدل بيده، فخفضه ورفعه من فضله وإحسانه لخلقه من فضله، فهو-سبحانه وتعالى-يُحسن ويعدل فلا تخرج أفعاله-سبحانه-بين العدل والفضل والإحسان.

وبهذا نعلم أن كل نعمة من فضله وكل نقمة من عدله، فهو-سبحانه-يقسم الأرزاق ويجزل العطاء ويتفضل على خلقه، وهذا من معاني القيوم الذي مرّ معنا فهو قيوم تقوم السماوات والأرض بأمره، وهو-سبحانه-ليس لديه بواب فيُستأذن ولا حاجب فيُدخل عليه ولا وزير فيؤتى ولا ظهير فيُستعان به ولا ولي من دونه فيُشفّع به إليه ولا نائب عنه فيُعرفه حوائج عباده ولا معين له فيُعاونه على قضائه، لا والله بل قد أحاط به-سبحانه-علما ووسعها قدرة ورحمة.

هذا من كلام ابن القيم في كتاب طريق الهجرتين وهو كلام جميل جدًا يصف فيه ما نعتقده من التوحيد، فأنت مع الله لا تحتاج إلى بواب لتستأذن ولا حاجب لتدخل ولا وزير فتتوسط به بل أحاط بحاجات العباد علما ووسعها قدرة ورحمة، فلا تزيده كثرة الحاجات إلا جودًا وكرمًا ولا يشغله عنها شأن عن شأن، ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له: كن فيكون، فما الذي يُضيرك يا ابن آدم بعدما عرفت أن الأمر بيد الله وأن هذا وصف الله في كون يده-سبحانه وتعالى-هذا وصفها، يديه-سبحانه وتعالى-ملأى لا تغضيها نفقة، سحاء الليل والنهار، ما الذي يُضيرك الآن وما الذي يمنعك من بابه-سبحانه وتعالى-؟! وهو الذي يدعوك لأن تدعوه ولأن ترجوه وتسأله، فما الذي يمنعك إن كنت صادقًا في حاجتك ومن المؤكد أنك صادق في حاجتك فكلنا من المؤكد فقراء وأننا محتاجون فقراء وصادقون في الطلب، فما الذي يمنعنا من أن لا نطلب غيره ونطلبه وحده، ما الذي يمنعنا من التوحيد بعدما عرفنا أن عطاؤه كلام ومنعه كلام يقول للشيء: كن فيكون، والله أخبر عن سعة كلامه وعظمة قوله، أخبر-سبحانه وتعالى-عن كلماته التي يأمر بها وينهى سواءً الكلمات الشرعية أو الكونية والآن سنفهم الآية على أنها الكلمات الكونية والآية تشمل الكلمات الشرعية والكونية، يعني تقرأ في القرآن: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(١) يعني الله يقرب

(١) [سورة لقمان: ٢٧]

لعقولنا شيء لا يُطاق الوصول لفهمه، فهو يقول للأشياء: كوني فتكون، لو تريد أن تعد كم يقول الله للأشياء: كوني، فتكون. فتصور هذا المعنى واعلم أنه فوق هذا المعنى، وأنه مهما حاول عقلك تصور حقيقة هذا الأمر فلن تستطيع:

هو الأول الذي ليس قبله شيء من أن خلق الخلق إلى أن تقوم الساعة، مهما حاول عقلك أن يفترض كم قال الله للأشياء كوني فكانت، ومهما تسلسلت في عقلك في هذه الفرضيات فلن تستطيع، ومهما تكلمت أو ساعدك الناس لن تستطيع، فالله في جميع الأوقات يحكم ويتكلم ويقول ويفعل كيف أراد، وإذا أراد لا مانع له من أقواله وأفعاله.

فضرب لنا مثلًا لنتصور أمر عظيم، إذا تصورت أن ما في الأرض من شجر-كل الشجر في الأرض من غابات ومزارع-تحول فأصبح أقلام تكتب، كم تخرّج الشجرة من أقلام؟! مئات أو الآف فخرجت منها أقلام، وهذه الأقلام تحتاج إلى حبر من أجل أن تكتب، والبحر هو المداد-كل البحار والمحيطات ٧٠% من الأرض-هات بها كلها بل ومدّها من بعدها سبعة أبحر، كلها اجعلها مدادًا في تخيلك، وهات كل الأقلام والبحار كلها ومثلها سبعة مرات وهي الحبر الذي تُكتب له لتكسرت هذه الأقلام ونفذت ولم تنفذ كلمات الله.

فلا تتصور أنها مبالغة فحتى هذه الصورة لا تُمثل الحقيقة الكاملة، لا، إنما تُمثل نموذج من هذه الحقيقة، فكأنه يقال: عقلك ماذا يتصور كلمات الله الذي يأمر بها كن فيكون؟ فكم من الأشياء التي أمرها الله فكانت؟! سبحان الله العظيم هو الغني الحميد وهو الرب العظيم سبحانه؛ ولذلك في الآية السابقة للآية في سورة لقمان، قال تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[1] كيف عطاؤه؟! يده سحاء-سبحانه وتعالى-لا تغضيها نفقة، يد الله ملأى لا يغضيها نفقة سحاء الليل والنهار، ولتتأكد من ذلك اعلم أنه لو أن ما في الأرض من شجرة أصبحت أقلام والبحر أصبح مداده، مدّ البحر بسبعة أمثاله، ما انتهت كلامات الله؛ لأنه-سبحانه-الحميد المحمود، الذي يستحق الحمد على أفعاله وعطائه ورزقه وشرعه وهذا ونحن نفكر في كلمات الله الكونية، والمقصود بالكونية هي التي يقول للشيء كن فيكون، أما الكلمات الشرعية التي هي شرعه-سبحانه-القرآن والكتب السابقة فقد تكلم به-سبحانه وتعالى-يقينًا، فالله لم يزل ولا يزال متكلما وهو-سبحانه-يأمر وينهى ويعطي ويمنع وعطائه كلام ومنعه كلام، يقول للشيء: كن فيكون. بحكمته وعلمه ورحمته وفضله-سبحانه وتعالى-.

معنى ذلك أن الإنسان المؤمن الواثق بعظمة ربه وبأن ربه غني حميد وبأنه-سبحانه وتعالى-مهما كان من شأن فهو يقول للشيء: كن فيكون. فلا يغلق على نفسه باب الرجاء العظيم في رب العالمين مع علمه أن الله عزيز حكيم، والمعنى أن عطاؤه-سبحانه-يكون بحكمة.

(١) [سورة لقمان: ٢٦]

فلذا أهل الإيمان الصادقين عندما تأتي مواسم الطاعات وهم يعلمون من رب العالمين بما سمعوا عنه-سبحانه-في كتابه على لسان رسوله-صلَّى الله عليه وسلَّم-فهم في الله طامعين وراجين منكسرين منكبين على طاعته متفرغين لها، فالحمد لله رب العالمين، نسأل الله أن يزيدنا معرفة به ويقين فالعبد كلما علم عن الله وعرف عظمة الله كلما وحّد الله واطمئن قلبه بالله؛ ولذا مما يزيدنا يقينًا بالله العلم، لابد أن نزداد في معرفة الله بأسمائه وأفعاله وصفاته، ولنسمع لرسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-كيف قام في أصحابه في هذه الكلمات التي فيها وصفه-سبحانه-، في الحديث في مسلم عن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-قال: (عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: ((إِنَّ اللهَ-عزَّ وجلَّ-لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ. يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ. يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ. وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ. حِجَابُهُ النُّورُ (وَفِي رِوَايَةٍ: النَّارُ) لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ))[1].

وهذا كله يزيدنا فهمًا بقيوميته فهو الحي والقيوم لا نعاس ولا نوم-سبحانه وتعالى-ما أعظمه! وما أعظم قيوميته على خلقه.

وانظروا إلى موقف النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يعلمهم خمس كلمات، يعلمهم عن رب العالمين، يعلمهم من أجل أن يقع في قلوبهم التعظيم وهم القوم المعظيمن وما فلحوا إلا عندما عظموا رب العالمين، سبحان ربي العظيم.

فالنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول لأصحابه:

((إِنَّ اللهَ-عزَّ وجلَّ-لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ)): فهو الحي القيوم الذي لا زال ولا يزال حيًا-سبحانه وتعالى-، وهو القيوم كما مرّ معنا قائم بذاته قامت به السماوات والأرض وما فيهن، وهو الذي أوجدها وأعدّها وأمدّها، فهو الغني وبه-سبحانه وتعالى-كان غنى كل من اغتنى، وهي جميعها مفتقرة إليه-سبحانه وتعالى-وكما نحفظ في آية الكرسي لا تعتريه-سبحانه وتعالى-"سِنَة" أي: نعاس ولا نوم وهذا نقص لا يليق به-سبحانه وتعالى-وهو الذي يدبر الكون-سبحانه وتعالى-.

وهو-سبحانه وتعالى-كامل القدرة كامل القوة فيستحيل في حقه النوم لأن النوم يُغيّب صاحبه عما حوله والله لا يغيب ولا يغيب عليه شيء، وانظروا كيف يقول إبراهيم-عليه السلام-في محاجته لقومه: {لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ}[2] لا يحب الذي يغيب، فكيف إلهي يغيب وأنا في حاجة دائمة إليه؟! بل هو دائم الإطلاع لا يغيب-سبحانه وتعالى-، ولا يغفل-سبحانه وتعالى-وهو مُنّزه-سبحانه وتعالى-أن يمسه إعياءً أو تعبًا، فمن المؤكد أن النوم لا يليق به وهو-سبحانه وتعالى-منّزه عنه فهو-سبحانه-

(١) أخرجه مسلم(٧٩)

(٢) [سورة الأنعام: ٧٦]

كامل الحياة والقيومية، ناجِه الليل أو النهار أو كل ساعة يسمعك-سبحانه-ولا يغيب عنك، فهو-سبحانه-له كمال الحياة والقيومية، قائم على خلقه يدبر أمورهم فلا ينبغي له أن ينام-سبحانه وتعالى-.

وقد مر معنا تدبيره لخلقه وكيف أنه-سبحانه وتعالى-يقيل العثرات ويفرج الكُربات، ويُنفذ الأقدار في أوقاتها، وتجري ألطافه فتُوصل الأرزاق لأهلها، فكيف ينام-سبحانه-وهو القائم على أمور خلقه وهو المدبر شؤونهم وأحوالهم!؟ حاشاه تعالى، ولو غفل لحظة-حاشاه-لفسد الكون كله بمن فيه وما فيه وهو منزه عن هذا أبدًا أبدًا-سبحانه وتعالى-، يخفض القسط ويرفعه، أي أنه-سبحانه وتعالى-كما أنت ترى يبدل أحوال الخلق وهم مساكين أول ما يجدون أنفسهم ارتفعوا يبدؤوا ينسبون ارتفاعهم إلى ما سبّب الله من أسباب، فبدلًا من أن تكون هذه أسباب جعلوها وكأنها هي الفاعلة! وهو-سبحانه-يختبرهم بالأسباب فيُسّبب أسبابًا تجري فيها ألطافه، لكن عيون الناس معلقة بالأسباب بعيدة عن المُسبب.

فاليوم اعزم أن تتوب عن كل معصية تُسبب لك أن تنخفض عند ربك ولنعزم جميعًا على الانتفاع من هذا الشهر لنرتفع عند ربنا، نعم يحب الإنسان أن يوسع عليه في رزقه خاصة المسلم لينتفع به في القربة لربه والله بيده يخفض الرزق فيضيقه ويرفعه فيوسعه، وهو-سبحانه-الحكيم لكن أنت الذي يهمك أن يرتفع شأنك عند ربك، وأن يكون ميزانك ثقيل عند الله، ويهمك كما قال الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-لذاك الأعرابي الذي لقيه النبي في السوق فاحتضنه وهو يمازحه وقال: من يشتري هذا العبد؟ فقال له: تجدني إذًا يا رسول الله كاسدا، فكرر عليه النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: لكنك عند الله غالٍ، ما أعظمها من كلمة، رفعه الله فجعله عنده غاليًا وهو الأعرابي قليل الفطنة ذميم الخِلقة فما أعظمها من حال!

فأنت لك طريق ليرفعك الله، تبْ عن الذنوب، واعقد العزم على أن تطلب مرضات ربك وأن تلتزم على ما يجب عليك، ما هي إلا أيام نُحبس فيها في الدنيا، عندما حُبسنا في بيوتنا شعرنا أن الدنيا حبس وهي في حقيقتها كانت حبس، وستبقى حبسًا حتى بعد أن يسمحوا لنا بالخروج، ستبقى حبسًا وإنما السعة كل السعة لمن أتت لحظة قبضه فوفق وقال: أشهد أن لا إله إلا الله فقبضته ملائكة الرحمة وهو يراها ويرى ما سيكون وترتفع روحه في السماء فيجد السعة كل السعة، وفي قبره يفتح له على مكانه في الجنة فتكون السعة كل السعة، وبهذا يخرج المؤمن من سجن الدنيا، والله يخفض ويرفع، كل يوم هو في شأن، ويوسع الرزق على من يشاء ويضيق على من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير، كل هذا أنت يا مؤمن ماذا يفعل بك؟ يُشهدك أن الله قيوم، قائم على الخلق، سبحان ربي العظيم.

يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، فالملائكة يصعدون بأعمال الليل بعد انقضائه في أول النهار ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل، لا تنس هذا لأن هذا الرفع يجعلك تتحمس بأن تُرفع لك الخيرات والاستغفار والصدقة والعزم على الخيرات، كما في الحديث المشهور: ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكم مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وملائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ في صَلاةِ الصُّبْحِ وصلاةِ العصْرِ، ثُمَّ يعْرُجُ الَّذِينَ باتُوا فِيكم، فيسْأَلُهُمُ اللَّه وهُو أَعْلمُ بِهِمْ: كَيفَ تَرَكتمْ عِبادِي؟ فَيقُولُونَ:

تَرَكنَاهُمْ وهُمْ يُصَلُّونَ، وأَتيناهُمْ وهُمْ يُصلُّون))[1] سبحان ربي العظيم الذي إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وهو الذي تُعرض عليه أعمال الخلق، ولو عرفنا كيف تُرفع إليه لكانت اشتدت عنايتنا في أن نُبادر في صلاتنا ونطيل صلاة الفجر ونصلي العصر في أوله لأن هذا موعد تبادل الملائكة، فالعرض له أنواع:

١. عرض يومي كل يوم مرتين: بالليل وبالنهار.

- فالملائكة تصعد بأعمال الليل في أخره إلى أول النهار.
- وتصعد بأعمال النهار في أول الليل.

فمن كان في طاعة بورك له في رزقه وعمله.

٢. والعرض الثاني كل أسبوع مرتين: يوم الاثنين والخميس. تُعرض أعمال الناس فيُغفر لكل عبد إلا عبد بينه وبين أخيه شحناء، فيُقال: اتركوا هذين حتى يصطلحا، وقد ذُكر في بعض الآثار أن إبراهيم النخعي كان يبكي إلى امرأته يوم الخميس وتبكي إليه ويقول: اليوم تعرض أعمالنا على الله، وهناك

٣. والعرض السنوي وهو ١٥ شعبان تُرفع الأعمال جملة واحدة، وقد ورد في الحديث عن أسامة بن زيد–رضي الله عنهما–قال: ((قلت: يا رسولَ الله، لم أرَك تصوم شهرًا مِن الشهور ما تصومُ مِن شعبان؟! قال: (ذلك شهرٌ يغفُل الناس عنه بين رجَب ورمضان، وهو شهرٌ تُرفَع فيه الأعمالُ إلى ربِّ العالمين، فأحبُّ أن يُرفَع عمِلي وأنا صائِم))[2].

فالظاهر أنه شهر شعبان كامل أو النصف من شعبان، على كل حال الواضح الظاهر هو الرفع اليومي والرفع الأسبوعي، وأيضًا الرفع السنوي قد ورد فيه الحديث عند من يُثبته.

على كل حال، كل عرضة لها حكمة يعلمها ربنا لكن أهم أمر في هذا كله أن تعلم أنك يا عبد غير مغفول عنك، مع اطلاع الله عليك إطلاعًا كاملًا وكتابة الملائكة لك فإن أعمالًا تُرفع في صحائف إلى رب العاملين فإذا انقضى الأجل رُفع عمل العمر كله وطويت صحيفة الأعمال، فنسأل الله أن يجعلها لا تطوى إلا وهي مليئة بالخيرات.

فعندما يأتيك شهر مثل شهر رمضان ماذا تريد أن يُرفع لك في كل يوم؟! في كل اثنين وخميس؟! املأ الصحيفة بكل ما تستطيع أن تملأ من خيرات، ولا تبخل على نفسك، وفي وصف ربنا العظيم أنه نور السماوات والأرض وقد احتجب–سبحانه

(١) أخرجه البخاري(٤٢٩)

(٢) أخرجه النسائي(٢٣٥٧)، وحسَّنه الألباني.

وتعالى-عن خلقه بالنور، وقد سئل النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-عن ليلة المعراج ماذا رأى؟ فقال: ((نور أنّى أراه؟!)) وفي رواية: ((رأيت نورا)) ووصف نور وجهه-سبحانه وتعالى-فقال: ((لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))[1] "سُبحات وجهه" : أي نوره وبهائه وجلاله، وبصره-سبحانه-محيط بجميع المخلوقات لا يفوته شيء ولا يستره ساتر ولا يحول دونه حائل.

فيصبح المراد بقوله: ((ما انتهى إليه بصره من خلقه)) أي: جميع الخلق فإذا كُشف هذا الحجاب المانع من رؤيته وتجلّى لخلقه لأحرق نور وجهه وجلاله جميع خلقه؛ ولذلك عندما تجلىّ-سبحانه-للجبل وكُشف الحجاب شيئًا يسيرا ساخ الجبل ولم يقم لربه، قال تعالى: {فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}[2] فهو-سبحانه-قد احتجب عن خلقه بحجابه النور، وإذا كشف هذا الحجاب لأحرق نور وجه جميع مخلوقاته.

فما الظن بجلال ذلك الوجه وعظمته وكبريائه وجلاله!؟ سبحان رب العظيم؛ ولذا قال-سبحانه-: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[3] مع أن الناس يرون آثار كرمه وبره وعطائه لكن بسبب ضعف الإيمان بالغيب وتحول الناس لأمور الشهادة فقط، لم يعد يهمهم سوى المحسوس وما أتاهم من أخبار غيبية يهملونها ولا يعطونها حقها.

فكن يا عبد الله مؤمن بالغيب، حقائق الغيب عندك كأنها شهادة، إذا أتيت لصلاة الفجر فاستشعر عظمتها واستشعر أن ملائكة الليل والنهار يجتمعون عندك، وإذا أذن العصر استشعر أن ملائكة الليل والنهار مجتمعين عندك، فأكرم وفادتهم وعجّل بعبادتك لربك وكنْ جامع لقلبك ولا يصعدون من عندك إلا وقد ملئت صحيفتك توبة واستغفار، كل الإشكال الذي نعيشه ضعف اليقين بالحقائق الغيبية.

اللهم اكشف عنا غمة ضعف اليقين وارزقنا من عندك اليقين فإن له برد إذا شعر به الإنسان في قلبه لا تذهب حلاوته حتى الممات، وهذه حلاوة الإيمان التي تكلم عنها رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-، اللهم اجعلنا مؤمنين متيقنين لنكون ممن صام الشهر الكريم إيمانًا واحتسابًا وممن قامه إيمانًا واحتسابًا، اللهم تقبل أعمالنا ويسر لنا أمورنا واغفر لنا ذنوبنا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) أخرجه مسلم(٧٩)

(٢) [سورة الأعراف: ٤٣]

(٣) [سورة الزمر: ٦٧]

اللقاء الخامس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله صحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان واليقين، من أهل الربح عليه وهو رب العالمين الرحمن الرحيم الغني-سبحانه وتعالى-، الذي وعد عباده وهو المؤمن الذي لا يُخلف وعده، وعدهم إن أحسنوا في هذا الشهر الكريم، في صيامهم وقيامهم وكان صيامهم وقيامهم إيمانًا واحتسابًا أن يكون هذا الصيام وهذا القيام سببًا لمغفرة ذنوبهم، فقد قال رسول الله: ((من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه))(١).

فالحمد لله الذي جعل لنا مواسم نربح عليه وهو الرحمن الرحيم، ومن أهم ما يُميز هذا الموسم أن صاحبه إذا دخل وهو قوي التعظيم لرب العالمين، قوي اليقين فإن أعماله تتضاعف مهما قلّت، هذه المعاملة هي معاملة الله الدائمة لعباده لأنه غفور شكور، لكن يأتي هذا الشهر الكريم ويزيد من رب العالمين الفضل وتزيد مضاعفة الأجور ويصبح عمله برمضان ليس كعمله في غير رمضان بل ويُعان بأن تصفد الشياطين وتُحبس عنه ليبقى صفاء قلبه وصفاء إيمانه، هم اللذان يدفعانه لطلب رضا رب العالمين، تنْحبس عنه الشياطين التي تدفعه إلى غير الصراط المستقيم.

هذه من النعم الكثيرة في هذا الشهر الكريم، ومن نعمه الكثيرة ما عرّف به هذا الشهر في كتابه فقد قال لنا رب العالمين وهو يعرّف هذا الشهر المبارك الكريم على نفوس المؤمنين العزيز على قلوبهم: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}(٢) هذا تعريف شهر رمضان، هذه الميزة في شهر رمضان، شهر رمضان تفخيم وتأكيد لمكانته، هذا الشهر فلتعرفه بهذه الميزة صفته {الذي أُنزل فيه القرآن} بمعنى بداية نزول القرآن كان فيه؛ ولذلك شُرّف الشهر وشُرّفت ليلة القدر.

فهذا فضل عظيم من رب العالمين فإذا عرفت هذا اعلم أن عنوان هذا الشهر قراءة القرآن، ادخل هذا الشهر وأنت مُعظم للرحمن زائد في يقينك واجعل الشهر كله سببًا في زيادة إيمانك ويقينك، كما عرّف الرب الكريم هذا الشهر الكريم بأنه الشهر الذي أُنزل فيه القرآن.

فهذا الشهر الذي قيل عنه: {أنزل فيه القرآن} عُلم أنه يسهل فيه تلقي القرآن ويُسرت تلاوته، فجُمع لهم بين صوت النهار وتهجد الليل، فالصائم يجمع قلبه على تلاوة القرآن ويجعل الصوم كأنه تجهيزًا له ليتلقى ما نزل في القرآن ويتلقى هذا الوحي العظيم الذي نزل على السيد الأمين.

---

(١) أخرجه البخاري(٩٠١)

(٢) [سورة البقرة: ١٨٥]

ولنتأمل حال النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قبل أن ينزل عليه الوحي ونرى كيف أنه كان يتحنث الليالي ذوات العدد-فترة طويلة-فها هي عائشة-رضي الله عنها-تُحدث عن حال النبي-صلَّى الله عليه وسلَم-قبل البعثة، كما أخبرها النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-فهي لم تلحق ذاك الزمان، لكن المقصد أنها وصفت لنا كيف أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-عندما بغض ما كان عليه قومه من الشرك والأعمال السيئة كان يعتزلهم بالأيام الطويلة ويتحنّث في غار حراء، وهذه الفترة من حياة النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لابد من العناية والتفكير فيها وكيف أنه-صلَّى الله عليه وسلَّم-انحبس بعيدًا عن المنكر وكيف كان يكره المنكر.

الشاهد أنه كان يتحنّث الليالي الطوال ويتخفف من الطعام ويعزل نفسه عن الناس، فكانت هذه الحال التي أُنزل فيها القرآن، ولنتصور المسألة أكثر نتفكر في موعد موسى-عليه السلام-مع ربه عندما ذهب لأخذ التوراة فقد تخفف من الطعام والشراب، صام-عليه السلام-قبل أن يأخذ التوراة، أي كان الاستعداد لأخذ التوراة بالصيام وبالانعزال عن قومه.

بهذا نعلم أن الصيام وأوضاعه تجهزنا لاستقبال هذا الوحي، فعندما مدح الله رمضان بأنه نزل فيه القرآن عُلم أن لنزول القرآن في شهر رمضان ميزة وهي أعظم المقاصد من وراء الصيام، لاحظوا أعظم المقاصد من وراء الصيام تصفية الفكر لأجل فهم القرآن، وتأملوا النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-كان يتحنث، موسى-عليه السلام-قبل التوراة صام وخلا عن قومه، فعُلم من ذلك أن الفكر لابد أن يصفى لأجل أن يفهم الوحي وأن يستقبل الوحي، أن يرى جلالة هذا الوحي، ما يستطيع الإنسان أن يقف على حقائق الوحي إلا إذا كان صافي الذهن غير مشغول.

وهذا الأمر مما يُسلينا اليوم عن ما وقع علينا في صيام هذا العام في كون الناس محبوسين عن المساجد، محبوسين عن الحرم، محبوسين عن العمرة، محبوسين عن الاجتماع، محبوسين عن إطعام الناس في المساجد، لكن يُسلينا عن ذلك أن الله-عزَّ وجلَّ-يكتب أجور من كان له عادة في الطاعة وهذا من فضله تعالى علينا.

فيُسلينا أن كل من اعتاد أن يعتمر واعتاد أن يصلي في الحرم أو المسجد أو اعتاد أن يُطعم مع أن الإطعام لازال بابه مفتوحًا يتسلى أن أجره مكتوب، وفي الحديث أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-رجع من تبوك وقال: ((إِنَّ أَقْوَامًا بالمدِينَةِ خَلْفَنَا، ما سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ معنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ))[1]

أيضًا مما يُسلينا هذا المعنى وهو أن هذا الشهر الكريم مُدح بإنزال القرآن العظيم لأجل أن نشعر أن أعظم مقاصد الشهر تصفية الفكر لأجل فهم القرآن ولنقف على حقائقه العظيمة، ولنصل لهذه الحقائق ولا يكون في قلبنا أي ريب، ولنصل إلى أنه هدى للعالمين، ولنصل أنّ الإنسان لا يمكن أن يصل للطريق المستقيم والعالم كله لا يصل للطريق المستقيم إلا إذا كان القرآن هو قائدهم.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٩)

ولذلك هذه الآية {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القرآن} الشهر فيه هذه المعالم كلها من الصيام والقيام وعزل النفس عن الناس ومشروعية الاعتكاف كله لنصل لهذه الحقائق، فهنا يبقى التفكير كيف نصل لهذه الحقائق؟ كيف أصل أن يكون شهر رمضان بالنسبة لي حقًا هو شهر القرآن؟!

نحتاج لنصل إلى هذا المعنى المهم تعظيم القرآن لأنه كلام الله، فيما سبق من لقاءات كنا نتكلم عن عظمة القرآن، والقرآن كلام الله الذي أنزله على نبيه-صلَّى الله عليه وسلَّم-بواسطة جبريل-عليه السلام-، فهذا يجعل للقرآن حق علينا وهو تعظيمه لأن الله تكلم به-سبحانه وتعالى-، فهذا كلام الله الذي لا يساويه كلام، هذا كلام الله الذي أراد للعباد أن يهتدوا به، لابد أن نعامله بمعاملة خاصة ولابد أن نعطيه حق في الاحترام والتوقير والتعظيم، لابد أن يكون هذا منا من أجل أن نصل إلى النتائج المطلوبة.

فأؤكد عليكم هذا المعنى أن هذا الشهر خُصّ بهذه العبادة والعلة في التخصيص-بأنه أُنزل فيه القرآن، وهذه العبودية وهي الصوم-أنه يُحقق للنفس شيء من جلاء الاهتمامات، أي ضعف الاهتمامات الدنيوية التي قد تحجب الإنسان عن هذه المعاني السماوية فيصوم الإنسان ليُزيل هذه العلائق البشرية.

فعندما يصوم ويبعد عن هذه الاهتمامات ويقوم ويصرف الأوقات في طاعة الله يصل إلى أسرار كثيرة في كتاب الله، يصل لفهم معاني عظيمة في كتاب الله، وأول الطريق أن نعلم أننا نقرأ كلام رب العالمين الرب العظيم.

عمليًا الآن ماذا يجب أن يكون حالي حتى أصل لهذه النتيجة؟

- نحتاج أن نُعّظم كلام الله في نفوسنا ونتعامل معه باحترام.
- نحتاج أن نتصور ما هي النتيجة التي قد أصل إليها وقت قراءة القرآن!؟ لابد أن أتصور ماذا يحدث وقت قراءتنا للقرآن، وهذا حدث كوني لكن نفوسنا ما وصلت لهذا الأمر بسبب تراكم الأمور حولنا وكثرة المقروء والمسموع، فأصبح الإنسان ليس هو مع القرآن بل هناك أمور كثيرة تشغله.

لنتصور ذلك نقرأ حدثًا عظيمًا حصل لأحد الصحابة وهو صحابي ليس نبي ولا مرسل لكن قوي الإيمان وسلّم نفسه للقرآن وهي الطريقة التي نريد أن نصل إليها، فهذا أسيد بن حضير سيد بني الأشهل الرجل المؤمن التقي، في الصحيحين:

((حَدَّثَهُ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ

جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ»)).

وفي رواية:

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ-صَلَّى الله عليه وسلَّم-فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ»، قَالَ ابْنُ الهَادِ: وَحَدَّثَنِي هَذَا الحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَّابٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ.

هذا أسيد المؤمن التقي وهو في تلك اللحظة من الخشوع وتفريغ القلب من الشواغل والقراءة من الليل يحصل له حدث عظيم بأن تنزل الملائكة لتسمع صوته وهو يقرأ! لدرجة أن الفرس شعرت بهذه الملائكة لما كان يتوقف عن القراءة كانت تتوقف الملائكة عن القرب والنزول وعندما كان يُكمل كانت تنزل تقترب، فكان وقتًا مباركًا أكرم الله فيه أُسيد-رضي الله عنه-ورزقه غاية الإخلاص وغاية الصدق وغاية فراغ النفس-هذا الأمر المهم-وغاية الاستغراق وقبل منه هذا الأمر، فدنت ملائكته-سبحانه وتعالى-تسمع من هذا العبد الصالح.

ولذلك النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-كأنه يريد أن يمسك بتلك اللحظة ويعيدها ويقول له: ((اقرأ ابن حضير))، فكأن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يريد أن يقول له: هذا الوقت ليس مثل الأوقات هذا كنز قد وصلت إليه، وأُسيد-رضي الله عنه-يقول: ((أشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى)) وكان منها قريبة، فعندما توقف عن القراءة صعدت الملائكة، فيقول له النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((أتعلم من هؤلاء؟!)) فأخبره أن هؤلاء هم الملائكة نزلوا بصورتهم الحقيقية من نور فأصبحوا مثل الظلة يقول أسيد: ((أمثال المصابيح)) فهذه أجسام الملائكة وهي أجسام نورانية دنت واقتربت لسماع صوت أسيد وهي على هيئتها التي خلقها الله عليها، ولم ينزل واحد أو اثنين بل كانوا وفدًا عظيمًا كثير العدد، ومعلوم أن الملائكة تتشكل لكن لاستغراقهم في السماع كانوا يستمرون من عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم.

وهذا الأمر لم يكن خاصًا لأسيد فقد ورد في الحديث ((قيلَ للنَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: ألَم تَرَ ثابتَ بنَ قيسٍ لم تزَلْ دارُهُ البارِحَةَ تَزهَرُ بمصابيحَ، قال: فلَعَلَّهُ قرأَ سورةَ البقرةِ، فسُئِلَ فقال: قرأتُ سورَةَ البقَرَةِ))[1] سبحان الله العظيم أمر مدهش وعظيم لابد لأهل الإيمان من تصوره.

وفي حديث عن البراء بن عازب-رضي الله عنهما-قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته سحابته فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وذكر له فقال: ((تلك السكينة تنزلت للقرآن))[2].

أمر عظيم هذا القرآن ووقت قرأته حدث كوني عظيم لابد أن تهيئ نفسك له، لكن أهم تهيئة الآن هي الفراغ، وهنا لا نقصد فقط الفراغ من الأشغال الحسية، وهذا العام مع ما أصاب الناس-نسأل الله أن يرفع عن المسلمين جميعًا الداء ويرحم موتانا جميعًا-فقد تهيأت لهم فرصة لا تتهيأ في غير هذه الحال وهي أنهم تفرغوا تمامًا من المشاغل ومن الاختلاط بالناس، بقي عليهم أن يقطعوا تمامًا مشاغلهم وقت قراءة القرآن، هذا شأن عظيم ولذلك النصيحة المبذولة اليوم أنه حتى القراءة لا تكون من الأجهزة قدر الإمكان، لماذا؟ مثل ما نصوم النهار عن الطعام ونقوم الليل في الصلاة لابد أن يكون وقت قراءة القرآن كأننا صائمين عن الناس، وصيامك عن الناس يجعلك ما تستغرق في تفكير غير في التفكير في المعاني التي وردت في القرآن، ما تفكر في غير المعاني التي وردت في القرآن، وهنا لا أقصد أن نبقى نقرأ في التفاسير أو نوسع المسائل علينا، أول شيء نبدأ أول مسألة بـ: أنا والقرآن، أنت يا تالي القرآن مع القرآن أول الأمر، يعني أنت عربي إذا قرأت القرآن تصعب عليك بعض الأمور لا خلاف في ذلك لكن في البداية لابد أن تعلم أنك تقرأ القرآن الذي تعرف لغته، فلا تضيع وأنت تقرأ عندما ينتقل رب العالمين من أمر لأمر، من خبر لخبر، من قصة لقصة، من شأن لشأن، عش الأحداث، عندما تأتي الانتقاله عش الانتقاله، وتصور في هذه السورة ماذا يريد أن يقال لك.

على كل حال، الأمر المتفق عليه أن نعظم القرآن ونُفرغ أنفسنا من الشواغل من التفكير في غير ما أقرؤه، والله إذا كان الإنسان بين الناس وأتته رسالة بخبر مهم بشأن مهم وشؤون الناس المهمة كثير يعني في شأن مهم في أحبابه في ماله، حقيقة إنه يذهل عمن حوله ويفكر فقط في هذه الرسالة ويحاول أن يتفهمها وتظهر عليه علامات الانفصال عما حوله، لكن هذه المشاعر ما تحدث معنا مع القرآن وأحيانا أنفسنا تستدرجنا إلى الانشغال، الآن ركز فيما تقرأ واعلم أن الملائكة الكرام تستمع لقراءتك، وفي الحديث أن الملائكة تضع فيّها على فيّك وأنت تقرأ القرآن، حالة عظيمة أنها تضع فمها على فم المصلي.

(١) تفسير ابن كثير(٨/ ٤٣٩)

(٢) أخرجه مسلم(٧٩٥)

فكيف تستحضر هذه الحالة وكيف تتعامل معها، وكيف يكون حتى نظافتك وطهارتك عندما تقوم للصلاة خاصة صلاة الليل التي تناجي فيها ربك؛ ولذلك قد ورد في الحديث أمر النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-من قام بالليل أن يستاك بالسواك، أي نظف فمه بالسواك، لماذا؟ لأن النبي-صلى الله عليه وسلم-في الحديث قال: ((إذا قامَ أحدُكُمْ يصلِّي مِنَ الليلِ، فَلْيَسْتَكْ، فإنَّ أحدَكُمْ إذا قرأَ في صلاتِهِ، وضعَ مَلَكٌ فَاهُ على فيهِ، ولا يخرجُ من فيهِ شيءٌ إلَّا دخلَ فَمَ المَلَكِ))[1].

سبحان الله، بعض شُراح الحديث يقولون: حتى لا يخرج من فيه القاري شيء إلا دخل فم الملك ليلتقط هذه القراءة ويحفظها لصاحبها، فالملائكة كما ورد في الآثار: "لم يعطوا فضيلة تلاوة القرآن فهم حريصون على سماع القرآن من الأدميين".

فيا لشرفك أيها المؤمن، ويا لمكانتك أيها المؤمن، يا قارئ القرآن هذه فرصتك ليجري على لسانك كلام الله وأنت مكرم أن يسر لك كلامه، فلا تأتي لهذه الفضيلة العظيمة فتردها فتُرد خائبا.

فإذا عرفنا أن هذه لحظة حدث عظيم وأن الملائكة حضرت لسماع قراءة بعض أصحاب النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وحضرت بيوت بعض القراء في زمن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-فلا تظن أنه خاص بهم لأنه قد ورد في الأحاديث أن الملائكة تنزل الأماكن التي يجتمع الناس فيها على قراءة القرآن، والبيت الذي يُقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة وتخرج منه الشياطين ويتسع بأهله ويكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن تحضره الشياطين وتخرج منه الملائكة ويضيق بأهله ويقل خيره.

وقد ورد في بعض الآثار عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أن البيوت التي يُقرأ فيها القرآن لتضيء لأهل السماء كما تضيء السماء لأهل الأرض، يعني في السماء الملائكة ترى البيت الذي يقرأ فيه القرآن مضيء كما نحن نرى إضاءة النجوم في السماء، فسبحان ربي العظيم كم لله من فضل علينا في هذا! بمعنى أن البيوت تصبح منيرة والملائكة تراها من السماء منيرة فتأتي لها وتحضر الملائكة عند أهل هذا البيت الذي يقرأ القرآن فتمتلئ البيوت بالسكينة سبحان الله.

(١) أخرجه أبو نعيم كما في ((البدر المنير)) لابن الملقن(٤/ ٢٢).

فهذا كله من فضل الله ((إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ))[1] فهؤلاء الملائكة الكرام لهم حضور في أماكن القرآن وحضورهم من فضل الله علينا لأنه معهم السكينة، تتنزل بالسكينة.

فإذا فهمنا هذا وعرفنا أن الله قد تفضّل علينا بهذا القرآن وأن الواجب علينا تعظيمه وتصور ماذا يحدث حال قراءة القرآن، وأن هذا لا يحدث إلا إذا حصل فراغ النفس، أتى الأمر المهم الذي دائمًا الناس يسألون عنه وهو:

- كم أقرأ؟

كم تقرأ فالظاهر والله أعلم لابد من الختم في رمضان والأولى تكثير الختمات، ومن تعرف على الله في الرخاء عرفه في الشدة يعني من يُكثر الختمات فيما سبق يوفقه الله، لكن نحن معنا كنز فنقبل على كتاب الله وأحسن حال في تنظيم وضعنا مع القرآن هو تخصيص وقت، خصص وقت تشعر فيه أنك تكون فارغًا من المشاغل، لا تعطِ نفسك فرصة أبدًا أن تحضر معك ما يشغلك، لا من الأدوات المرئية ولا المسموعة، ولا من الناس الذين قد يقطعونك ويشغلونك، حاول أن تأخذ أوقات تكون في أعلى حالة من أجل أن تستجلب هذه النفس التي تفرغ، وتشتغل بالقرآن فتكون ساعة مباركة على الإنسان، ليس أمرا يسيرا، ليس مثل أي قراءة بل قراءة تنزل الملائكة لتسمعها، فلا تستهن بنفسك حال قراءتك للقرآن.

- هل أقرأ في التفسير أو لا أقرأ؟

هذه المسألة ابدأ فيها بأقل شي وهو أني لا أترك كلمة في القرآن لا أعرف معناها.

- هل أقطع القراءة في غير الصلاة لأعرف معناها؟

إذا كان يؤثر عليك ولم تستطيع أن تجمع ذهنك في القراءة إلا بمعرفة معناها فليكن ولذلك من الأفضل أن نقرأ في مثل كتاب التفسير المختصر وهو مصحف وفيه معاني للآيات بحيث لا أحتاج حركة أكثر ولا أنقطع عن السورة.

- كيف نقرأ؟

لابد أن نعلم ماذا نقرأ، أين ظهرت كلمة "الأعراف"مثلًا؟ وفي سورة الحديد مثلا لماذا سميت بذلك؟ أين ذكر اسمها في السورة؟ فتصور مُجمل معاني السور نعمة عظيمة على أهلها.

(١) صحيح البخاري (٦٤٠٨).

وتبقى الآن الوصية الأهم وهي أنه حال قراءتنا للقرآن وتفرغ قلوبنا لهذا الشأن لابد أن يكون هدفنا أن نتعرف على الله وكيف يعامل عباده المؤمنين وكيف يُعامل عباده الكافرين، كيف يعطيهم في الدنيا، وكيف يكون حالهم في الآخرة؟ كيف يوضع الميزان يوم القيامة، يعني ما هي الأحوال؟ كيف تكون المعاملة في الدنيا؟ كيف ظهر لطفه بيوسف-عليه السلام-؟ وبموسى وأمه -عليهما السلام-؟ وبإبراهيم وابنه-عليهما السلام-؟ كيف ظهرت قوة الله وسلطانه واستدراجه لفرعون وقارون وهامان؟ كل هذه معاني لابد أن تكرر علينا إلى أن نصل إلى حد اليقين في معرفة رب العالمين، وهذه غاية مهمة لا تفوتنا حال قرائتنا القرآن، وكل عام نقرأ فيه القرآن يأتي رمضان يشحذنا بقوة اليقين وزيادة الإيمان ليبقى أثر هذا طوال العام ونحن متأثرون بفهمنا وباللحظات التي وجدناها وقتما صفت نفوسنا، وبالمعاني التي ظهرت لنا وهي تعالج أمراض قلوبنا.

فلابد من اغتنام هذه الفرصة وجعل هذا الشهر زاد نتزود به من القرآن ويبقى لنا دائمًا أن نتذكر أن الأمر توفيق فنبقى داعين ملتجئين منكسرين أن اجعل القرآن نور صدورنا، جلاء أحزاننا وهمومنا، فقراءة القرآن تجعل الدنيا صغيرة، ويتحقق بقراءة القرآن سماع دعوة الله إلى دار السلام، يتحقق بقراة القرآن أن نعلم معنى: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}(١) تتحقق معاني عظيمة إذا قرأنا القرآن كما يريد ربنا.

في نهاية هذه اللقاءات وخاصة هذا اللقاء الذي تكلمنا فيه عن القرآن أُذكركم بعظمة كلام الله وأثره على الملائكة الكرام من أجل أن نحاول جاهدين ملتجئين راجين ربنا أن يرزقنا هذا الخشوع العظيم، نحاول جاهدين أن نصل إلى الخشوع المطلوب وقت قراءة القرآن وتعظيمه.

أُنهي هذا اللقاء بحديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:

((إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ-قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ-فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ))(٢).

فهذا الحديث يُبين عظمة الله وعظمة كلامه-سبحانه وتعالى-، وأنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أُرعدوا من الهيبة حتى يغشى عليهم، فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضا: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى ينتهي الخبر إلى السماء الدنيا. والمعنى أن الله إذا تكلم ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقول-أي خضوعًا-كأنهم عندما يُسمع الصوت تقع في قلوبهم الخشية والخضوع كأنه "سلسلة على صفوان" وهنا المراد أن نتصور أثر صوت الله في قلوبهم كأثر صوت الصفوان أي الحجر الأسود الأملس عندما تُجر عليه سلسلة عظيمة والجو هادئ ثم ما تسمع

(١) [سورة آل عمل ن ١٨٥]

(٢) أخرجه البخل ي(٤٧٠١)

إلا جر سلسلة عظيمة فتصور، ماذا يحصل في القلب من فزع للذي يكون في حال هدوء ثم يسمع صوت سلسلة عظيمة تُجر على صخرة؟! ما يحصل من الفزع عندما يسمعون كلام الله يشبه فزع من يسمع سلسلة تُجر على صخرة عظيمة، ثم يبقون زمنًا ثم يزول هذا الفزع فيقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيرد بعضهم لبعض: قال الحق.

هم يقولون لبعضهم: "قال الحق" لأنهم على يقين أن الرب-سبحانه-لا يقول إلا الحق، وعلى يقين أن هذا هو الوحي الذي يحمله جبريل وينزل به إلى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، وهذا معنى قوله: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} (١) فالله تعالى هو العلي الكبير، في ذاته وقدره وقهره، هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته الذي من عظمته وكبريائه أن الأرض بقبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، من عظمته وكبريائه أن كرسيه وسع السماوات والأرض، من عظمته وكبريائه أن نواصي العباد بيده، فلا يتصرفون إلا بمشيئته ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإرادته فهو-سبحانه وتعالى-الذي تكلم بهذا الوحي العظيم وهذا أثر الوحي على الملائكة الكرام أنهم أغشي عليهم.

فهذه الحال في السماء، فحال أهل الأرض المفترض أن يكون تعظيم هذا الكتاب والانكباب على قراءته وملئ الفؤاد منه والتفرغ له، التفرغ التام، والله يدخله في الفؤاد ويُسّكن به جروح العباد ويدفع عنهم اليأس والألم ليصلوا إليه سالمين مرتاحين من الدنيا وهمومها، مستبشرين بما لهم عند ربهم فلنتمتع بآيات النعيم التي ورد ذكرها في القرآن، فلنستبشر عندما يبشرنا رب العالمين، ولنخَف عندما يخوفنا، ولنستعِذ من عذاب النار عندما يأتي خبرها، ولنرجُ رحمته عندما يخبرنا عن رحمته، ولنستغفر عندما يخبرنا عن نفسه أنه الغفور، لنا أعمال كثيرة مع القرآن إذا انصرفت الحياة كلها للقيام بهذه الأعمال لانتهت الحياة ولم نقم بهذه الأعمال، لكن نسأل الله يعيننا على ترك الغفلة والقيام بالوظيفة التي خلقنا لأجلها.

اللهم علمنا القرآن وفهمنا إياه واجعل هذا الشهر مبارك علينا وعلى المسلمين جميعًا، اكشف عنا هذه الغمة وقد زاد إيماننا ويقيننا ورجائنا فيك يا رب العالمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) [سورة سبأ: ٢٣]